القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة : إضغط على اسم القصة للإنتقال إليها

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

هاشم
ابن عبد مناف

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان سيِّدُنا إبراهيمُ عليه السَّلام ، يعيشُ مع أهلِه بأرضِ فِلَسطين ، فأمرهُ اللّه سبحانَه وتعالى ، أن يأخذَ زوجَته هاجَرَ وابنَه إسماعيل ، وأن يرحلَ بهما إلى أرضِ الحِجاز ، وأنْ يتركهما في مكانٍ بالصحراء ، مكان مكةَ الآن . وكان اللّه يريدُ أن يجعلَ من أولادِ إسماعيلَ أمةً عظيمة . فأطاع سيدُنا إبراهيمُ أمرَ اللّه ، وأخذ زوجتَه وابنَه إلى الحجاز ، وتركهُما في مكانٍ لا زرعَ فيه ولا ماء ، وعاد إلى فِلَسطين .

وأحسَّ إسماعيلُ عطشًا ، وكان صغيرا ، فطلبَ من أمِّه أن يشرب ، وكان الماءُ الذى معها قد نفِد ، فتركتْهُ فى الصحْراء ، وجرت تبحثُ له عن ماء .

ولكنها لم تجدْ أىَّ ماء ، فعادت إلى مكان ابنها وهى حزينةٌ مهمومة . فرأت أنَّ اللّهَ سبحانَه وتعالى ، لم ينسَها هى وابنَها فى ذلك المكان القَفْر ، بل أخرجَ لهُ الماءَ من الأرض . وكان للماءِ صوتُ زَمْزَمة . فسُميَت البئرُ « زمزم » . فشرِب منها إسماعيل ، وشربت منها هاجر ، وعاشَا من ذلك الوقتِ إلى جوارها .

وبعد مدّة ، جاء سيدُنا إبراهيمُ يزورُهما ؛ فأمر اللّه إبراهيمَ وإسماعيلَ أن يُعيدا بناءَ الكعبة ، وهى أوَّلُ بيتٍ بُنىَ للناسِ ليعبُدُوا اللّهَ فيه ، وكانت قد تَهدَّمت ، فأخذا يُنفِّذانِ أمرَ اللّه ، ويدعُوان : ربَّنا وابعثْ فيهم رسولا منهم .

لم يأمرِ اللّهُ إبراهيمَ بتركِ هاجرَ وإسماعيلَ في الصحْراء ، إلا لحكمةٍ كان يَعلمُها اللّهُ وحدَه ، فقد وعدَ إبراهيمَ أنّه سيُكثّرُ أولادَ ابنِه إسماعيل ، وكان مُقدّرا أن يَخرجَ من ذُرّيّتِهِ رسولٌ عظيمٌ لهدايةِ النّاس ، هو محمدُ بنُ عبدِ اللّه ، رسولُ اللّه .

٢

أخذت القوافلُ تمرُّ ببئرِ زمزم ، تشربُ منها ، وتستريحُ عندها ، فتكوّنت هناك محطّةٌ للقوافل ، أخذتْ تتّسع على الأيام ، حتى أصبحتْ مدينةً تجاريةً عظيمة ، تعرفُ بمكة .

وكثُر نَسلُ إسماعيلَ وتفرّقوا قبائِل ، وكانت قبيلةُ قُريش أشهرَ هذه القبائل ، وكانَ سيّدُ قريش هو الذي يُضيِّفُ من مالِه ومالِ الأغنياء ، الفقراءَ الذين يأتونَ من أنحاء جزيرةِ العربِ لزيارةِ بيتِ اللّه ،

وكانَ هذاَ التكريمُ والإطعامُ يسمّى الرِّفادَة . وكان هو الّذِى يسقِي الحُجّاج ، ويُسمَّى هذا السِّقايَة . وكانَ هو الّذِى إذا قامت حربٌ بين قُريش وقبيلةٍ أخرى ، يُقدِّم رايةَ الحربِ إلى القائد ، ويُسمى هذا اللِّواء . وكانت الرِّفادةُ والسِّقَايةُ والّلِواءُ من علاماتِ الشرف والسيادة ، وكانَت كلُّها فى قُريش ، لأنَّ قريشًا كانت أغنى قبيلةٍ فى العربِ وأشْرَفَها .

وعَلَى مرِّ السِّنين ، مُلِئَتْ بئرُ زمزَمَ بالرِّمال ، واختفَتْ ولم يَعُدْ يعرِفُ مكانَها أحد ؛ وعلى مرِّ السِّنِين ، نَسِيَ العربُ عبادةَ اللّه ، وحمَلُوا معهم من البلاد التى كانوا يزُورونَها ، أصنامًا وضعُوها فى الكعبة ، بيتِ اللّهِ الحرام ، وأخذُوا يعبدُونها . وكثُرَت الأصنامُ فى الكعبة ، حتى صارتْ ثلاثَمائةٍ وستّينَ صَنما ، فكان العربُ يذْهَبُون إليها فى موسمِ

الحَجّ ، يزُورونَها ويعَظّمونَها ، ويعْبُدونَ الأصنامَ فيها ، دون أن يهْتَدوا إلى أنّ الكعبةَ إنما بُنيت ليُعْبَدَ فيها اللّهُ وحدَه .

٣

جلسَ عبدُ منافٍ في دارِه ، وفي وجْهِهِ الجميلِ قَلَق ؛ وكان رائعَ الحُسن ، حتى كان يُقالُ له القَمَر . كانَ إذا سمِعَ حركةً رفعَ رأسَه ونظر ، فزوجَتُه تضعُ ما في بطنها ، وهو يَطْمَعُ أن يكون المولودُ ذكرا ، ليكونَ أخًا لبكره المُطَّلب .

كان الشّابُّ عبدُ منافٍ ، ابنَ قُصَيٍّ سيِّدِ قريش ، وما كانَ رجُلٌ أو امرأةٌ من قريشٍ يتزوجُ إلا في دارِ قُصَيّ ، وما كانَ النّاسُ يتشاورونَ في أمر ينْزِلُ بهم إلاّ في دارِه ، وما كانَ لواءُ الحربِ يُعقدُ إلا في دارِه. كان قُصيٌّ يُطْعِمُ الفقراء ، ويُضيّفُ الحجاجَ

ويسْقيهم ، فشبَّ عبدُ منافٍ في بيتٍ كريم ، فَتعلَّم الكرم ؛ ونشأ بين قوم يكرهُون ولادة البنات ، ويدْفنونَهن حيَّاتٍ خشْيَة العار ، فهو يخشَى أن تَلدَ امرأتُه بنْتا ، فظلّ ينْتَظِرُ وهو يضْطَرِبُ ، حتى دخلَ عليه البشيرُ وقال له :

ــ وضعت امرأتُك توءَمَيْن ذكَريْن .

ففرحَ عبدُ مناف ، وطلبَ أن يراهُما ، فلما جيء بهما ونظر إلَيْهما ، رأى عجبا : رأى أنهما متّصِلان ، إصبعُ أحدِهما متَّصِلةٌ بجَبْهَةِ الآخَر : فجاء بمن يفصل بينهما ، فلما فُصل الإِصبعُ من الَجبْهة ، سالَ من ذلك دم ، وكان العربُ يتشاءمون ويتفاءلون ، فلما سال الدَّمُ قالَ قائل :

ــ تكونُ بينَهما دماء .

وأطرقَ الواقفُون ، كأنما نطق القدرُ حكمه ؛ ستكونُ بين هَذيْنِ الوليدَين حروب . وقد صدّقَ

الزَّمنُ هذَا القول . كان أحدُهما هاشمـا ــ وإن سماهُ أبوه عمرًا ، وكان الآخرُ عبدَ شمس الـذى سيُنْجِبُ أميَّة ، وستقومُ بيْن بنى هاشم وبنى أميَّةَ حروبٌ كثيرة ، كَانت فى بطنِ الغيْب فى ذلكَ الزَّمان .

٤

أصبحَ عبدُ منافٍ رجلاً عظيمًا فى قومِه ، وأصبح إخوتُه رجالاً عُظَماء ، إلاّ عبدَ الدَّار ؛ كان ضَعيفًا على الرّغمِ من أنَّه أبرُّ أبناء قُصىّ . وأرادَ قُصىٌّ أن يجعلَ من عَبدِ الدار الضعيف ، شريفًا مثلَ إخوتِه ، فناداه وقال له :

ــ أمَا واللّهِ لأُلحِقَنّكَ بالقومِ ، وإن كانوا قد شُرِّفوا عليك . لا يدخلُ رجلٌ منهم الكعبة ، حتى تكونَ أنتَ تفتحُها ؛ ولا يُعقَدُ لقريش لواءٌ لحربهم ،

إلا أنتَ بيدِك ؛ ولا يَشْرَبُ رجلٌ بمكةَ إلاّ من سِقايَتِك ؛ ولا يأكلُ أحدٌ من أهلِ الموسمِ طعاما إلا من طعامِك ؛ ولا تقطع قُريش أمورَها ، إلا فى دارِك .

وماتَ قُصَىّ ، وأصبحَ لعبدِ الدّار الحِجابة ، وهى الإذنُ بدخولِ الكَعْبَة ، واللِّواء ، والرِّفَادة ، والسِّقَاية .

٥

شبَّ التوءَمانِ عمرٌو وعبدُ شَمْس ، وذاعَ أمرُهما بَينَ الناس . وفى ليلةٍ اجتمعا بأخيهما المُطَّلب ، وتحادثُوا فى أمرِ أبناء عبدِ الدّار ، فوجدوا أنَّ قُصَيًّا قد ظلمهم لما أوْصَى لعبدِ الدّارِ بالرِّفادةِ والسِّقايةِ واللِّواءِ والحِجَابة ، بعد أن كانت الرِّفادةُ والسقايةُ فى يد أبيهم . فأجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدِى بنى

عبد الدّار ، فهم أحقُّ بـه منهـم ، لشـرفِهم عليهـمْ ، وفضلِهم فى قوْمِهـم . وطلبـوا من بنـى عبـدِ الـدار تسليمَ ذلك لهم ، فأبَوْا . فعزَمَ أبناءُ عبدِ منافٍ علـى أن يحاربُوهم ، حتى يـأخذُوا حقّهـم منهـم ؛ فـأخرجَ بنو عبد منافٍ ومنْ انضمَّ إليهم ، جَفنةً مملوءةً طيبا ، فوضعوها حـولَ الكعبـة ، ثـم غمـس القـومُ أيدِيَهـم فيهـا ، وأقْسـمُوا أن يحـاربُوا حتـى يـأخُذوا الزَّعامـــةَ والسِّيادة .

وأخرجَ بنُو عبدِ الدّارِ ومن كان معهُم ، جَفنةً مـن دَم ، فغمسُـوا أيدِيَهـــم فيهــا ، وتعـاهدُوا علـى أن يُدافِعُـوا عـن الحِجابـةِ والسِّقاية والرِّفـادَة ، واسـتعدَّ الطرفَان للقِتال .

ثم رأَوْا أن يصطلحُوا ، فاصطلحُوا على أن يـأخذَ بنُو عبدِ منافٍ السِّقايةَ والرِّفَادة ، وأن يأخذَ بنُو عبـدِ الدّار : الحِجابة ، واللِّواء ، ودارَ النَّدْوَة ، وهى الدّارُ

التى كانوا يجتَمعون فيها للتشاور فيما ينزِلُ بهم من أمورٍ .

وتولَّى عمرُو بنُ عبدِ منافٍ السِّقايةَ والرِّفادة ، فقد كان رجُلاً غنيا ، وسافرَ توءَمُهُ عبدُ شمس إلى الشّام ، فقد كان يُحِبُّ الأسْفَار .

٦

أصبح عمرٌو زعيما فى قومِه ، وكان العربُ يخرجُونَ فى الشِّتاء إلى الصحْراء ودِفْئِها ، فرارًا من البرْد ، وبحثًا عن الماء والمراعى لأبِلِهم ؛ ويَخْرُجُون فى الصيْفِ إلى البلادِ المعْتدِلة ، فرارًا من الحرّ . ولاحظ عمرٌو ذلك ، فرأى أن ينظِّمَ ذلكَ الخروج ، وأن يجعلَ منه رحلةً للتِّجارة ، فسنَّ لقريش رِحلتيْن : رحلةً فى الشتاء ، تخرج فيها القوافلُ إلى اليمن وإلى الحبشة ، حيثُ الدِّفْء ؛ ورحلةً فى الصَّيف ، تخرج

فيها القوافلُ إلى الشَّام ، حيث الهواءُ اللطيف ، والماءُ الزّلال .

ولم يكنْ طريقُ القوافلِ فى تلك الأيامِ آمنا ، وكانت التجارةُ عُرْضَةً للسّلب والنّهب ؛ فرأى عمرٌو أن يُؤَمِّن الطريق ، فذهب إلى قيصرَ فى الشام ، واتفقَ معه على تأمين طريق القوافل ؛ وأرسلَ أخاهُ المطّلبَ إلى نجاشىِّ الحَبَشة ، وملوكِ حِميرَ ، ليتفقَ معهم على تأمينِ طريق التجارة . فازْدهرت مكة فى عهدِه ، وأصبحت مركزًا تجاريًا له مكانته .

وأصابت قريشًا سنةُ جُدبٍ شديد ، حتى أصبح الناسُ لا يجدون الطعام ، فلجئوا إلى عمرو ، فكان يقدِّم لهم ما عندَه حتى نَفِد . واشتدَّ الجوعُ بالناس ، فخرجَ عمرٌو إلى الشَّام ، واشترى دقيقًا كثيرا وكعكا ، وعادَ إلى مكة ، فقابَلهُ الناسُ بالبِشْر ، وراح يقدِّم لهم الطعام ، ويهشِم الخبز (أى يُكسِّره) ،

وذبحَ لهم إبلا ، ثم أمرَ الطُّهاةَ فطبخوا ، فأشْبَع أهلَ مكةَ ، ولم ينسَ القرشيُّون له صنيعَه ، ولا تهشيمَه الطعامَ لهم ، فسمُّوه هَاشِما .

٧

أنجبَ عبدُ شمس ولدا سمَّاه أُميَّة ، وشب أُميَّةُ فكان غنيا ، ورأى أُميَّةُ حبَّ الناس لهاشم ، فأراد أن يصْنَعَ مثلَه ، ليُحَبِّبَ النّاسَ فيه ، فراح يُنْفِقُ الأموالَ ، ويُطعِمِ الفقراء ، ولكنّه عجزَ عنْ أن يفْعَلَ مثلَ هاشم ، فعيَّره الناسُ وقالوا له :

ـ أتتشبّه بهاشم ؟ ! أين أنت من هاشم ؟

فسبَّ أُميَّةُ هاشما ، وادَّعَى أنه أفضل منه . ثمَّ طلب من هاشم أن يذهَبا معًا إلى من يَحكم بينهما أيُّهما أفضلُ من الآخر ، فكره هاشمٌ ذلك لسنِّهِ ومركزه ؛ ولكنَّ أميةَ أصرّ على التحكيم ؛ فلم يجد هاشمٌ مفرا من قَبولِ التّحدّى فقبلَ على شرط أنَ

يَذْبَحَ الخاسرُ خمسينَ ناقَةً للفقراء ، وأن يخرج من مكة عشرَ سنين ، فقبل ذلك أمية ، وجعلا بينهما حَكما .

وذهب هاشمٌ ومعه أصحابُه ، وأميةُ ومعه أصحابه إلى الحَكم ، فلما رآهُما قال :

ـ لقد سبقَ هاشمٌ أميةَ فى المفاخر .

فَنصرَ هاشمًا على أميّة ، فأخذَ هاشمٌ الإبل ، فذبَحَها وأطعمها النّاس ، وخرج أميّةُ إلى الشام ذليلا . وكانت هذه أولَ عداوةٍ وقعت بين هاشم وأمية ، ولم يَدُرْ فى ذهنِ أميةَ أن أبناءَه الأَمويِّينَ سيكونُ لهم فى الشامِ ملك عظيم ، بفضل الرِّسالةِ التى سيأتى بها محمدُ بن عبد اللّه سليلُ بنى هاشم .

٨

خرج هاشمٌ على رأسِ قافلةٍ فـى رِحلـةِ الصَّيـف ، وكان يريدُ أن يتّجرَ مع الشام ، وأن يحمِـلَ بضائعهـا إلى اليمنِ والحبشة ، يبيعُها فى أسواقِها ، وفيمـا هـو فى طريقهِ ، مرّ بيَـثْرِب (المدينـة) ، فصـادفَ سـوقًا كانت تُقام كلَّ سنة ، فنزل بها .

وبدأَ البيعُ والشِّراء ، وإذا بامرأةٍ جميلةٍ واقفةٍ علـى موْضع يُشرِفُ على السّوق ، تأمرُ بما يُشْتَرَى ويُبـاعُ لهـا : فنظـر إليهـا هاشـم ، فـرأى امـرأةً حازمـةً مـع جَمال ، فسأل عنها ، وهل هى مُتَزوِّجة ؟ فعلم أنهـا لا زَوجَ لهـا ، وقيـل لـه إنهـا لشـرفها فـى قومهـا لا تتزوَّجُ الرِّجالَ حتى يشْرطُو لها أنَّ أمرَهـا بيدهـا ، فإذا كرِهَت رجُلا فارقتْه ، فأطرق يفكرُ فى الزواج منها ، ثم ذهب يخطُبها .

عرَفتْ سَلْمَى بنتُ عَمرِو بنِ زيد ، أن الذى يخْطبها سيّدٌ فى قومِه ، عظيمُ النسب ، شريفُ الأصلِ ، فقَبلت أنْ تتزوَّجَه ، فصنعَ هاشِمٌ طعاما ، ودعا أصحابَه الذين كانوا معه ، وكانوا أربَعين رجُلا من قريش ، ودعا من أهلِ المدينةِ رجالا ، ودخل هاشِمٌ بِسَلْمَى ، ومكثَ بالمدينةِ أياما ، ثم غادرها وذهب إلى الشام وقد حَمَلت سَلْمَى .

ووضعت سَلْمَى ولدًا جميلا ، كان فى رأسِه شَيْبة ، فسُمِّيَ شيْبة ، وراح هاشم يتردَّدُ على المدينةِ كلما خرجَ فى رحلِة الصيف إلى الشام . وفى آخرِ رحلةٍ له اشتكى من ألمٍ نزل به ، وكان فى غَزَّةَ من أرض الشام ، فدعا بعضَ أصحابهِ ، ووصَّاهم أن يحملوا تركتهَ إلى ابنهِ شيْبة . ومات هاشم بغزَّة ، وحَمَل أصحابهُ تركتَه إلى المدينة ، ودفعوها إلى شيْبَة الصغير ، الذى ما كانَ يدرى ما يخْبؤهُ له القَدَرُ من شرفٍ عظيم ، من أنهَّ يكونُ جدَّ محمدٍ رسولِ اللّه .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

عبد المطلب جد النبي

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ
يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيل * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا
أَبَابِيل * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيل * فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَأْكُول ﴾ .

« قرآن كريم »

١

نشأَ شـيبةُ بـينَ أخوالِـه فـى المدينـة ، وكـان جميـلا مَهيبا، يعرفُ أنه ابنُ هاشم بن عبدِ مناف ، وأنّه مـن ذلك البيـتِ الكريـم الـذى يسُودُ قريْشـا ، ويتولّـى شرفَ البيتِ المقدس فـى مكّـة ، ويَسـقِى الحُجّـاج ، ويُطْعمُ الفقراءَ والمساكين منهـم . كـان يعـرفُ قـدرَ نفسِه ، فكانَ على الرغـم مـن مـوتِ أبيـه ، مرفـوعَ الرأس ، ناصعَ الجبين .

خرجَ يلعبُ مع الفتيـان فـى أحـد الأيـام ، وكـان أحـبُّ اللَّعِـب إليـه الرِّمايةَ ، فدعَـا أبنـاءَ أخوالِـه إلى مُباراةٍ فى رمى السِّهام ، فاصطفَّ الفتيانُ أمامَ هدفٍ صغير فى مثل الكـفّ ؛ ومـرّ رجـل ، فوقـف يرقُـبُ المباراةَ من بعيد .

أخذَ الفتيانُ يرمونَ سهامَهم ، فاخطئوا الهدَف ؛ وتقدَّم شَيْبة ، فوضعَ سهمَه فى قَوْسِه ، وأطلقَه فأصابَ الهدَف ؛ ثمَّ وضعَ سهمًا آخرَ وصوَّبه ، فأصابَ مرةً ثانية ، فهزّه الفرح ، وصاح مفاخَرا :

ـ أنا ابنُ هاشم ، أنا ابنُ سيِّد البطحاء ، (الأرض المستوية التى بداخل مكة) .

وارتسمتْ على شفَتى الرجُل الذى يرْقُبُ المباراةَ من بعيد ابْتِسامة ، ثم انصرف .

٢

ولِىَ المُطّلبُ السِّقايةَ والرِّفَادَة ، بعدَ موتِ أخيه هاشم ، وكانَ المُطّلبُ شريفا ، وسيِّدا مُطاعا فى قومِه ، وكانَ يُمضى النّهار فى الكَعْبَة ، فقد بدأَ موسمُ الحج ، وكان عليه أن يَسْهَر على الحُجاج .

وبينمَا المطلبُ فى مجْلسِه ، إذ أقبلَ عليه ذلكَ الرجل ، الذى شهدَ مباراةَ الرِّمايةِ بين شَيْبةَ وأبناء أخواله ، وكان قادمًا من يَثْرب (المدينة) إلى مكة للحج ، قال :

ـ لو رأيْتَ ابنَ أخيكَ شيبةَ فينا ، لرأيتَ جمالاً وهيبةً وشرفا ، لقد نَظرتُ إليهِ وهو يُبَارى فِتْيانًا في رمى السِّهام ، ويقولُ كلّما أصابَ الهدَف : أنا ابنُ سيِّدِ البطحاء .

فرفعَ المطلبُ رأسهَ وقال :

ـ لا أُمسى حتى أخرجَ إليه فأقْدَمَ به .

فقال الرجل :

ـ ما أرَى سَلْمى (أمَّه) تتركُه لك ولا أخوَالَه .

فقال المطلبُ فى عزم :

ـ ما كنتُ لأدَعَه هناك ، ويترِكَ مآثرَ قومِه ، ومكانتَه ونسبَه وشرفَه .

وما جاءَ اللّيلُ حتى كانَ المطّلبُ يركبُ جملَه ، ويذهبُ في الطريقِ إلى يثرب (المدينة) ، ليعودَ بشَيْبةَ ابنِ أخيه هاشم ، ليشِبَّ بينَ أهلِه ، وفي بيتِ هاشمٍ العظِيم .

٣

وصلَ المطّلبُ إلى يثرب ، وجعل يسألُ عن شيْبَة ، حتى اهتدى إليه ، فوجدَه يلعبُ بين فِتْيان فعرفَه وضمَّه إليه ، وجعلَ يقبِّلُه ويقولُ له : إنَّه عمُّه . وذكر له المطّلبُ أنه جاءَ ليعيدَه إلى قومه ، فقال شَيْبة :

ـ لابدَّ أن تأذنَ لي أمي .

وذهبا إلى سَلْمى ، فقال لها المطّلب :

ـ جئت أقبضُ ابنَ أخي ، وأُلحقُه ببلَدِه وقوْمِه .

فقالت سلْمَى وهى تضمُ شيْبةَ إليها :

ـ لا . لستُ بمُرْسِلَتِه معك ، إنّه ابني .

فقال المطلب فى إصْرَار :

ـ لن أذهبَ حتى آخُذَه معى ، إنّه ابنُ أخى ، ونحنُ أهلُ بيتٍ شريفٍ في قّومِنا ، والُمقامُ ببلَدِهِ خيرٌ له من الُمقام هَهُنا ، وهو ابنُك حيثُ كان .

فقالت سلمى وهى تنظُر إلى ابنِها :

ـ دعْنِى ثلاثَةَ أيّامٍ أفكّر .

ومرَّت الأيامُ وسلمَى تفكّر . إنَّ فراقَ ابنِها يحزُنُها ، ولكنَّ مصْلحَتَه فى أن يكونَ بين قومِه . وأخيرًا غلّبتْ مصلحةَ ابنِها على حُبِّها ؛ فلما عادَ المطّلبُ بعد انقضاء الأيام الثلاثة ، أذِنَتْ له فى أن يأخذَه ، فركِبَ المطّلبُ جملَه ، وأركبَ شيبَةَ خلْفَه ، وخرج إلى مكّة ، وسلمى تنظر إلى ابنِها وقد ملأَت الدموعُ عينيها .

٤

كان الوقـتُ ظهـرا عندمـا دخـلَ المطـَّلِبُ مكـة ، وهو راكبٌ جملَه ، وخلفَه شَيْبَة ، فلما رآهُما النّـاسُ حَسبُوا أنَّ المطَّلبَ اشترى له عبدا ، فراحُوا يُشيرُون إلى شيْبَةَ ويقولون :

ـ عبدُ المطَّلب ... عبدُ المطَّلب .

فصاح المطَّلبُ بهم :

ـ ويْحَكُم ! إنَّما هُو ابنُ أخي هاشم ، قِدمْـتُ بـه من المدينة .

ودخل المطَّلبُ بيتَه ، وألبسَ شـيْبَةَ حُلْـةً جديـدة ، وخرجَ به إلى الناس ، وقال :

ـــ هـذا شـيبةُ ابـنُ أخـي هاشـم ، عُـدْتُ بـه مـــن المدينة .

فنظـر النـاسُ إلى شـيْبة ، فوجَـدوه يُشبــِهُ أبـاه ، فقالوا :

ــ ابنُه . ابنُه ولا شك .

ولكنّهم لم يَدْعُوه بشيْبَة ، بل أطلقُوا عليــه « عبدَ المطلب » .

٥

خـرجَ المطلـبُ تـاجرا إلى أرض اليَمــن ، فمــاتَ هناك ، فَولِيَ الرِّفادَةَ والسِّقايَةَ بعـدَه عبـدُ المطّلـب ، كان يَسْقِي الحجَّاجَ بمكـةَ فـى حِيـاض من الجِلـد ، وكان يَتْعَبُ فى جلبِ الماء إلى هـذِه الحيـاض . وفـى ذاتِ يومٍ نامَ فى الحرَم ، فرأى من يقـولُ لـه : احفِـرْ زَمْزَم . فلما استيقظَ لم يفهـمْ ذَلـكَ الْحُلْـم ، لأنّـه لم

يكن يعرِفُ ما زَمْزَم ؟ لأن زمزمَ كانت قَدْ طُمَّتْ بالرِّمالِ واختَفَت .

وفى اليوم التّالى نامَ فى الحَرم ، فجاءَه الهاتف ، وقالَ له :

ـ احفِر زمزم .

فقال عبدُ المطلب :

ـ وما زَمْزَم ؟

ـ تَسْقى الحجيجَ الأعظم .

وهداهُ الهاتفُ إلى مكانها . فلما استيقظ ، دعَا ابنَه الحارث ، ولم يكنْ لهُ ولدٌ غيرُه ، وقال لهُ : إنّه أُمِرَ بحفر زمزم ، وذهَبا يحفِران الأرض ، ورأى أنّه وابنَه قِلّة ، فنذَر لئنْ أكملَ اللّهُ له عشرةَ ذكور حتى يَراهُم ، أن يذبَح أحدَهم ، وفى اليوم الثالث، اهتدى عبدُ المطّلبِ إلى الماء ، فجاءَه الناسُ وقالُو له :

ـ أشْرِكْنَا فيه .

فقال لـهُـم عبدُ المطّلب .

ـ ما أنَا بفاعِل ، هذا أمرٌ خُصِصْتُ بـه دونكـمْ ، فاجعلُوا بيننَا وبينكُم من شِئتُم أُحاكِمْكم إليه .

واختـارُوا حَكمًـا . وخـرج مـع عبـدِ المطلـبِ عشرونَ رجلاً من بنى عبد مناف ، وخرجتْ قريـشٌ بعشرينَ رجلاً من قبائلها ، وفيما هـمْ فى الطريـق ، نفِـدَ المـاء ، فعطِشُـوا ، فجـاءُوا إلى عبـدِ المطّلـب ، وقالوا :

ـ ماذا ترى ؟

فقال عبدُ المطّلب :

ـ هُـو المـوت . فليحفِـر كـلُّ رجـل منكـم حفْـرةً لنفسه ، فكلّما ماتَ رجلٌ دفَنته أصحابُه .

وراحُـوا يحفِـرُون قبورهَـم ، ثـم قَعـدُوا ينتظـرُون المـوت ، ورأى عبـدُ المطّلـب أنَّ مـن العجْـز أن يستسلمُوا ، فقام وركب جمله ، وأخـذ يبحـث عن

ماءٍ في الصحْراء ، وفيما هو في سيرِه ، إذ انفجرت تحتَ خُفٍّ جملِه عينُ ماء عذب فشربِ عبدُ المطّلب ، ونادى أصحابَه ، فشرِبُوا حتى ارتووا .

ونظر الرجالُ إليه في إكبار ، وقالوا :

ـ قد قُضِيَ لك علينا . الذي سقَاك هذا الماءَ بهذِهِ الصحْراء ، هو الّذي سقاكَ زمزم ، فواللّه لا نُخاصِمُك فيها أبدا .

ورجعَ عبدُ المطّلب ، ورجَعُوا معه ، وأصبحت زمزمُ له وحدَه ، فترك السَّقْيَ في الحياض بمكة ، وسقَى الحجاجَ من زَمْزم .

٦

كان أَبرهةُ الأشْرمُ رجلاً من الحبشة ، قَتلَ ملكَ اليمن ، واستولَى على مُلكِه ، ورأى الناسَ يتجهَّزُون أيامَ الموسَم ، للحَجِّ إلى بيت اللّه الحرام ، فسأل :

ـ أين يذهبُ الناس ؟

ـ يَحُجُّونَ بيتَ اللّهِ بمكة .

ـ ما هو ؟

ـ من حجارَة .

ـ لأبنينَّ لكم خيرًا منه .

فبَنى لهم بيتا عمِلَه بالرَّخام الأبيض والأحمر والأصفر وحلاَّه بالذهبِ والفِضَّة ، وجعل له أبوابًا عليها صفائحُ الذّهب ولطَّخَ جدرانَه بالمِسك ، وأمر الناسَ أن يَحُجّوه ، ولكنّ الناس لم يذهبُوا إليه . كانوا يعظّمون الكعبة ، فلم يرضَوا بها بديلا .

فتضايَق أبرهَة ، وعزم على هدمِ الكعبة ، فجهز جَيْشا ، وجعلَ أمامه فيلا عظيما ، وخرجَ من اليمن ، وسارَ إلى مكّة ، وفى طريقهِ خرج إليه العربُ يحاربُونه ، فكان يَهزِمُهم ، وينتصرُ عليهم ، واستمرَّ فى سيره حتى دخل مكة ، واستولى على

إبلٍ لعبدِ المطّلب .

واجتمع الناسُ خائفين يسألونَ عبدَ المطّلبِ ماذا يفعلُون ؟ فقال لهم : إنهم لا يستطيعونَ قِتالَ أبرهة ، فعليهم أن يهربُوا منه فى الجبال ، وأغضبَ الناسَ أن يَهدِمَ أبرهةُ بيتَهم المقدس ، ولكنهم كانوا أضعفَ من أن يحاربوه لينقِذُوا الكعبة ، فصعدوا فى الجبال ، وفى قلوبهم حزنٌ عميق .

وذهبَ عبدُ المطّلب ، وكان أوسمَ الناس وأجملَهم وأعظمهم ، يقابلُ أبرَهة ، فلما رآه أبرَهةُ أجلَّهُ وأعظمَهُ وأكرمَه ، وقال لتَرجُمانِه :

ـ قل له : ما حاجتُك ؟

فقال عبدُ المطّلب :

ـ حاجتى أن يَرُدَّ علىَّ الملكُ مِائتى بعيرٍ أصابَها لى :

فقال أبرهةُ فى إنكار :

- أتكلّمُني في مِائتي بعير أخذتُها منك ، ولا تكلِّمُني في بيتٍ هو دينُك ودينُ أبائِك ، قد جئتُ لهدمِه ؟!

فقال عبدُ المطّلبِ في اطمئنان :

- إنّي رَبُّ الإبل ، وإنَّ للبيتِ ربّا سيحميه .

وخرج عبدُ المطلب ، وذهب هو وأهلُه إلى الجبال ، ينظرون ما سيفعلُه أبرهةُ بمكّة .

وأقبلَ أبرهةُ في جيشِهِ العظيم ، والفيلُ أمامَه ، وسار إلى الكعبة ، والعربُ ينظرون من فوقِ الجبال ، وفي صدورِهم حُزْن ، وإذا بطيرٍ يُقبلُ من ناحية البحرِ جماعاتٍ جماعات ، ويُلقي على جيش أبرهة حجارة ، فانتشر الْجُدَرِيُّ والْحَصبةُ بين الجيش وراحت أعضاءُ الجنودِ تسقُطُ عُضوا عُضوا ، فلما رأى أبرهةُ ذلك فرّ ، ورأى العربُ خروجَ الجيش الغازي هاربا ، فهبَطوا من الجبال ، وانطلقُوا إلى

الكعبة ، يقدِّمُون إلى اللّه فـروضَ الشكر . وصدق عبدُ المطلب ، فقد كان للبيتِ ربٌّ حماهُ ومنعَه .

وفى هذا العام ، عامِ الفيل ، وُلـد محمد بنُ عبدِ اللّه ، بنِ عبدِ المطّلب .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

عبد الله وآمنة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكين * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

تذكَّر عبدُ المطَّلبِ أنَّه نذَرَ يومَ كان يحفِر زَمزمَ هو وابنُه الحارث : لئنْ وُلِدَ له عشرةُ ذكور حتَّى يراهم ، لينْحرَنَّ أحدَهم للّهِ عند الكعبة ، وهَؤُلاء قد اكتملُوا عشرة ، فوجبَ عليهِ أن يُوفِّىَ بنَذْرِه ، فطلب أولادَه ، وكان أكبرُهم الحارث ، وأصغرُهُم عبدُ اللّه ، وكان عبدُ اللّه أحبَّ أولادِهِ إلى قلبه ، فالتفت إليهم وقال :

ـ نذرْتُ أن أَذبحَ أحدَكم للّه إذا وهَبَ لِى عشرةَ ذكور ، وها أنتم قد اكْتملتُم عشرة ، وإنى أحبُّ أن أُوَفِّىَ بنذرِى .

فقالوا له :

ـ أوفِ بنذرِك ، وافعلْ ما شئت .

فقالَ ليختارَ من بينهِمْ من يذْبَحُه :

ـ ليأخذْ كلٌّ واحدٍ منكُم قِدْحا ، ثم يكتبْ فيه اسْمَه ، ثم ائتونى به .

كان العربُ حينئذٍ إذا أرادُوا أن يفْعلوا شيئا يضرِبُون بالقِدَاحِ ، والقِداحُ : عيدانٌ من خشبِ البَقْسِ نُحِتت ومُلِّسَت ، وجُعلت سواءً في الطول ، يُكتبُ عليها « افعلْ » أو « لا تفعلْ » أو ما يشاءُونَ أن يقترِعُوا عليه ، وكانوا يذهبُون إلى هُبَل ، وهو صنمٌ يعبدونَه : ثم يطلبونَ من الحاجب ـ ويُطْلقُون عليه « السادِن » ـ أن يختارَ قِدْحًا من القداح ، فإذا خرجَ القِدْحُ المكتوب فيه « افعلْ » كانوا يفعلونَ الشيء ، أما إذا خرجَ القِدحُ المكتوبُ فيه : « لا تفعلْ » فكانوا لا يفعلونَ ما نُهُوا عنه .

ولما كان عبد المطَّلبِ يريد أن يقْترِعَ بين أولاده ، ليختارَ منهم من يذْبحُه ، أمرهُم أن يكتُبوا أسماءَهم على القِدَاح ، فلمَّا فعلُوا قدَّموها إليه .

فذهب عبدُ المطَّلب إلى الكعبة ، والناس خلفه يذكرون نذرَه ، وما عزم على أن يفعلَه . وتقدم من سادِن هُبَل ، وقدم إليه القداح ، فلف السادن يدَه بقماش ، وجيء بثوبٍ أبيضَ ، وبُسط بين يدى السادن ، وأمسك بالقِداحِ تحت الثوب ، ومد يدَه ، وأخرجَ قِدْحًا ، فإذا به قِدْحُ عبد اللّه .

وساد سكونٌ عميق ، وامتدت أعناقُ الناس ، واتَّسَعت العيون . كان على عبد المطَّلبِ أن يذبحَ عبدَ اللّه أحبَّ أبنائه إليه . لم يُحْجم عبدُ المطَّلب بل تقدَّم ، وأخذَ عبدَ اللّه بيدِهِ ، وأخذ السكين ، ثم ذهب به إلى إسافٍ ونائلة ، وهما صنمان كان العربُ يذبحُون عندَهما ؛ ونامَ عبدُ اللّه ورفعَ عبدُ المطَّلب السكينَ ليذبَحه ، وإذا برجالِ قريش يُقْبلون ويقولون :

ـ ماذا تريدُ يا عبد المطَّلب ؟

ـ أذبحُه .

ـ واللّه لا تذبحهُ أبدا ، لئِن فعلتَ هذا لا يزالُ الرجلُ مِنا يأتى بابنهِ حتى يذبَحَه ، فما بقاءُ الناسِ على هذا !

وقال أخوالُ عبد اللّه :

ـ إن كانَ فِداؤُاه بأموالِنا فديْناه .

وقال الناس :

ـ لا تذْبَحْه ، واذهبْ به إلى عَرَّافة (منجمة) ، وسلها ، فإن أمرَتْك بذبحِه ذبحته ، وإنْ أمرتْك بأمر لك وله فيه مَخْرجٌ قبلتَه .

وخرجُوا إلى العرَّافة ، حتى إذا بلغُوها ، قصَّ عليها عبدُ المطَّلب خبرَه وخبرَ ابنهِ ، وما أراد به ، ونّذْرَه فيه ، فقالتْ :

ـ كَمِ الدِّيَةُ فيكم ؟

والدِيَّة هي عددُ الجمالِ التى كان يدفعُها أهلُ القاتلِ إلى أهلِ القتيلِ إذا تصالحوا ، فقالوا :

ـ عَشْرٌ من الإبل .

فقالت العَرَّافة :

ـ ارجِعوا إلى بلادكم ، ثم قَرِّبوا صاحبَكم ، وقرِّبو عشرةً من الإبل ، ثم اضربُو عليها وعليه بالقِداح . فإن خرجتْ على صاحبِكم ، فزيدوا فى الإبل حتى يرضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحرُوها عنه ، فقد رضِيَ ربُّكم ، ونجَا صاحبُكم .

٢

عاد عبدُ المطّلب وأبناؤُه ومن خرج معه إلى مكة ، وذهبُوا إلى سادن قريش ، ليقْتَرِعُوا بين عبدِ اللّه والإبل ، ووقف عبدُ المطّلب عند هُبَل يدعُو اللّهَ أن يُنقِذَ ابنَه ، وتقدَّم عبد اللّه وعشرٌ من الإبل ، وضربَ السادنُ بالقِداح ، فخرج القِدْحُ على عبدِ اللّه ، فاستمر عبدُ المطلبِ فى دُعائه ، وزادُوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، ثم ضربُوا بالقداح ، فخرجَ القِدْحُ على عبدِ اللّه ، فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، واستمر عبدُ المطّلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبدِ اللّه ، ثم لم يزالُوا يضربون بالقداح ، ويخرجُ القِدحُ على عبدِ اللّه ، فكلما خرج عليه زادوا من الإبل عشرا ، حتى ضربُوا عشرَ مرات ، وبلغت

الإبلُ مائة ، وعبد المطلب قائم يدعُو ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على الإبل ، ففرحَ الناس وصاحوا :

ـ قد انتهى رضَا ربِّك يا عبدَ المطَّلب .

فقال عبدُ المطَّلب :

ـ لا واللّهِ حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات .

فضرَبوا بالقداح على الإبل وعلى عبدِ اللّه ، وقام عبدُ المطلب يدعو ، فخرج القِدحُ على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو ، فخرج القدحُ على الإبل ، ثم عادُوا الثالثة فضربُو بالقداح ، فخرج القِدحُ على الإبل ، فاطمأنَّ عبدُ المطَّلب إلى أن اللّه قد رضِيَ عن فِداءِ عبدِ اللّه بمائةٍ من الإبل .

ونُحِرَت الإبل ، وتركَتْ للناسِ والطيورِ والوحوش يأكلونَ منها ، لا يمنعُهم عنها أحد .

٣

كانَ عبدُ اللّه جميلا ، حتى إنَّ نساءَ قريش كُنَّ يتمنيْن الزواج به ، وكان في وجهه نُورٌ يتلألأ ، وأرادت امرأةٌ أن تتزوجَه ، فقد حزَرت أن لهذا النور شأنا ، فعرضت عليه أن يتزوَّجَها ، وأن تُعطيَه مائةً من الإبل ، ولكنه أبَى ؛ كان ذاهبا مع أبيه إلى وهْب بنِ عبد منافِ بن زُهْرةَ ليزوِّجَه من ابنته آمنة .

دخلَ عبدُ المطّلب وابنهُ عبد اللّه على وهْب ، وقال عبد المطلب : إنه جاءَ يطلبُ آمنةَ لابنِه . فوافق وَهْبٌ على تزويج آمنةَ من عبدِ اللّه ، فقد كانَ عبد اللّه وسيما ، وكَان في مصاهرةِ بني هاشم شرفٌ عظيم .

وكانت آمنةُ جميلة ، وكانت أفضلَ امرأةٍ في قريشٍ نسبا ، فلما ذاعَ خبرُ زواجِ عبدِ اللّه منْ آمنة ، حزنت نساءُ قريش ؛ كانت كلٌ منهن تحبُّ أن تكونَ زوجةَ عبدِ اللّه .

٤

ومكثَ عبدُ اللّه عنـدَ آمنـةَ ثلاثَـةَ أيّـام ، وكـانت هذه عادةَ العربِ إذا تزوَّجُّوا فى بيتِ أهلِ الزَّوجة .
وفى اليوم الثانى خرجَ عبدُ اللّهِ من عند آمنة ، ومـرَّ علـى المـرأةِ التـى عَرَضـتْ عليـه أن تتزوجَـه ، وأن تُعْطيَه مائةً من الإبل ، فلم تحادثْـه ، ولم تعِرضْ عليـه الزواج ، فعجب عبدُ اللّه من ذلك ، وقال لها :

ــ لماذا لا تعْرِضينَ علىَّ الزواج ؟

فنظرتْ إليه طويلا ، ثم قالت :

ــ أىَّ شىء صنعتَ بعدى ؟

فقال عبد اللّه :

ــ تزوجْتُ آمنةَ بنتَ وهب .

فقالت المرأةُ فى حُزن :

- رأيتُ نورَ النبوةِ فى وجْهِك ، فأردتُ أن يكون ذلك فيَّ ، وأبى اللّه إلا أن يجعلَه حيث جعلَه .

لم يكنْ مُقَدَّرا أن تأتيَ هذه المرأةُ برسولِ اللّه ، بل كان مُقَدَّرا أن تَحملَ خيرَ أهلِ الأرض ، آمنةُ بنت وهب .

٥

تأهَّبَ عبد اللّه للخروجِ إلى الشّام ، في قافلةٍ من قوافلِ قريش تحملُ تجارات ، فدخل على زوجتِه آمنةَ يودِّعُها قبل الرحيل ، كان يعِزُّ عليه أن يفارقَها ، ولم يمكُثْ معها أكثرَ من أشهر أحبَّها فيها وأحبَّته ، ولكن كان عليه أن يخرجَ للتجارة ، كما يخرجُ أقرانُه من الشَّباب . إنه ابنُ سيدِ قريش ، وليس معنَى ذلك أن يمكثَ في مكةَ دونَ أن يعمل ، فالناس في ذلك الزمان لا يحترمُون إلا العاملين ، ويكرهُون الفارغين الذين يمكثون في مكة للّهو واللَّعب .

اهتمت قريشٌ بأمرِ القافلة ، فإنَّها تخرجُ بتجارتهم ؛ العبيدُ يحملُون البضائِع ، ويضعُونَها على ظهورِ الجمال ، والحميرُ مُحَملةٌ بالجلودِ والشعير ،

والرجالُ يذهبون ويجيئون ، والنساءُ واقفاتٌ يُودِّعْنَ المسافِرين . وخرجَ عبدُ اللّه وسارتْ القافلةُ ناحيةَ الشام ، وآمنةُ تودِّع زوجَها ، وفى صدرِها اضطراب ، وفي عينيها دُمُوع .

وبلغت القافلةُ غَزَّة ، ونزلتْ بسوقِها ، وبدأت المقايضة . كان العرب يُعطُونَ التّجارَ الرّومانَ جلودَ الصحراء ، وشعيرَ الطائف ، وفضةَ بنى سُلَيم ، ويأخذونَ منهم العُطورَ والحُلىَّ والتوابل .

وانتهت الرحلة ، وفى أثناءِ العودةِ مرِض عبدُ اللّه ، ودخلت القافلةُ المدينة ، فقال عبدُ اللّه :

ـ أنا أتخلّفُ عند أخوالى بنى عدىِّ بن النَّجَّار .

كان أخوالُه فى المدينة ، فمكثَ عندَهم ، واستأنفتِ القافلةُ سيرَها ، حتى إذا دخلتْ مكة ، سأل عبدُ المطَّلب عن ابنِه فى لَهْفَة :

ـ أينَ عبد اللّه ؟

فقالوا له :

ـ مريضٌ عند أخوالِه بالمدينة .

وبلغ آمنةَ مرضُ زوجِها ، فقلِقت . كانت تُحبُّه ، وكانت تنتظرُ عودتَه ، ولكنهم عادُوا جميعا ، وتخلَّف عبدُ اللّه !

وأرسل عبدُ المطلبِ ابنَه الحارثَ إلى المدينة ، ليعودَ بأخيه ، فلما وصلَ إليها وجدَ عبدَ اللّهِ قد مات .

وبلغ آمنةَ موتُ زوجِها ، فحزِنت عليه ، وزاد فى حزْنِها ، أنَّه كُتب على ابنها الذى تحمله فى بطنِها ، أن يَشِبَّ يتيما .

ولكن اللّه سبحانه وتعالى كان يَحوطُ ذلك اليتيمَ برحمتِه ، ويكلؤُه بعينِ رَعايته ، ويَهْديه إلى أقومِ السُّبل ، ويُعِدُّه لأمر جليلِ الخَطَر .

« ألم يجدكَ يتيما فآوى ؟ ووجدك ضالاً فهدَى ؟ ووجدَك عائلاً فأغنَى ؟ » .

القصص الديني
الحلقة الثانية
قصص السيرة

مولد الرسول

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

خَرجَ رجالٌ من مكةَ يُريدونَ الشَّــام ، وفيمـا هُــمْ بِبَعضِ الطَّريق إذ مرُّوا على راهبٍ منقطع عن النّـاسِ يعبدُ اللّه ، ففكَّــر أربعـةٌ منهـم فـى أن يُعرِّجـوا علـى ذلكَ الرّاهب ، يتحدَّثون معه ، وكان الرُّهبانُ أهـلَ علـم ، وكـانت أحـاديثُهم تُدهـشُ العـربَ الذيـن ما كانوا يعرفُون إلا التجارةَ أو اللّهو .

دخلوا على الرّاهــب ، وجلسـوا يتحدّثون إليـه ، فقال لهم :

ـ من أين أنْتُم ؟

ـ من مكة .

فقال : إن اللّه سيبعثُ فيكم نبيًّا وشيكا ، فَسارِعوا إليه ، وخُذُوا حظَّكم تَرْشُدُوا .

فنظرَ إليه الرِّجالُ فى دَهش ، وقالوا :

ـ ما اسْمُه ؟

ـ مُحمَّد .

ودخل الراهبُ صَوْمَعَته ، وهى المكانُ الذى ينقطعُ فيه للعبادة ، وسار الرجالُ الأربَعة ، وهم يُفكِّرون فيما قاله الراهب ، وقد قرَّر كلٌّ منهم فى نفسه إن رزقَهُ اللّهُ غلامًا أن يسمِّيَه مُحمَّدا ، رغبةً فى أن يكونَ ذلك النبِيُّ المنتَظرُ من نَسْلِه .

٢

كان عبدُ المطّلبِ ينامُ فى الكعبة ، فرأى فى نوْمِه شجرةً نبَتتْ حتى بلغَ رأسُها السّماء ، وامتدّت أغصانُها فى المشْرِق والمغْرب ، ورأى النُّورَ يخرجُ من هذِه الشجرة ، وكان نورًا قويًّا ؛ ورأى العربَ والعَجمَ يسْجُدونَ للشَّجرة ، وهى تزدادُ عِظَمًا ونورًا وارتفاعا ؛ ورأى ناسًا من قريش قد تعلَّقُوا بأغْصانِها ؛ ورأى قوما من قريش يُريدُون قطْعَها ، فإذا دَنَوا منها أخَّرَهم شابٌّ رائعُ الحسن جميلُ الهيئة ؛ فرفعَ عبدُ المطَّلب يَده ، ليتناولَ منها نصيبًا فلم ينلْه ، فقام من نوْمِه مذْعورا .

وجلس عبدُ المطَّلبِ يفكِّر في الحُلْم ، فلم يَعْرِفْ تأويلَه ، فقامَ ليذهبَ إلى كاهنةِ قريش ، لتُفَسِّرَ له هذا الحُلْم ؛ وكان العربُ يستشيرُونَ الكاهِنَ أو الكاهِنَةَ فى سفرِهم ، أو فى زواجِهم أو فى تفسيرِ أحلامِهِم .

فلما دخل عليها لمَحَتْ فى وجهِهِ القَلق ، فقالت :

ـ ما بالُ سيِّدِهم قد أتَى مُتَغَيِّرَ اللَّون ؟

فقال عبدُ المطَّلب :

ـ رأيتُ رؤيا أفزعَتْنِى .

وراح يَقُصُّ عليها رُؤْياه ، فلما انتَهى منها ، قالت :

ـ لئِن تحقَّقتْ رؤياك ، ليخْرُجَنَّ من صُلْبِك (أى من أولادك) رجلٌ يملِكُ المشرقَ والمغرب ، وتدينُ له النَّاس .

وقام عبدُ المطلب منْشَرِحَ الصّدْر ، فلما قابلَ ابنَه أبَا طالب ، قصَّ عليه رؤْيَاه ، وقصّ عليه ما قالَتْه الكاهنة ، ثم قالَ له :

ـ لعَّلك أنْ تكُونَ هذَا المولود !

ولكن لم يكن أبو طالبٍ المولودَ المنتظر ، بل كانَ المولودُ المنتظر لا يزالُ فى بطْنِ أمّه آمِنَةَ بنتِ وهْب .

٣

حَمَلَت آمِنَــةُ فمـا وجـدَتْ تعبًـا فـى الحَمْـل . إنهـا تسمعُ من النِّساءِ أنَّ الحملَ يُتعِبهُن ، ولكنّهـا لا تجـدُ له مَشقَّة . ومـرت الأشـهر ، وإذا بهـا تَـرى أحلامًـا كثـيرَة ؛ رأت فيمـا رأت كأنّـه خــرجَ منهــا نــور ، أضاءَت له قصورُ الشَّام .

وفى ذاتِ ليلة ، راحت فى النَّوم ، فسمِعَتْ هاتِفًا يهتِفُ بها :

ـ يا آمنة ، إنّك حَمَلْتِ بخيْرِ العالَمين ، فإذا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيه مُحَمَّدا ، واكْتُمى شَأنَك .

وقامَت آمنةُ من نوْمها ، وتلَّفَتت فلم تجدْ أحدًا في الغُرفَة ، فذهبَت لتنام ، ولكــنْ لم تُغْمِـضْ لهـا عيْـن ، وكان صوتُ الهاتِف لا يزالُ يَرنُّ في أُذُنَيها :

ـ يا آمِنة ، إذا وَلَدْتِهِ سمِّيه مُحَمَّدا .

وكَتمتْ آمِنَةُ ما رأَت ، ولَمْ تَذكُرْه لأحَد .

٤

وجاء آمنــةَ المَخَاض ، ووضعَت ما فى بطْنِها ، فكان وليدُها جميلا نظيفا ، وأرسَلَتْ إلى عبدِ المطّلب رسُولا ، فذَهبَ إليه وهو جالسٌ فى الكعْبة بينَ ساداتِ قريش ، وقال له :

ـ جاءت آمنةُ بغُلام .

فقام عبدُ المطّلبِ مسرورا ، وذهبَ إلى آمنة ، وحَمَلَ الطّفلَ وهو فرحان ، ودخل به إلى الكعبة ، ثم عادَ به إلى آمنة ، وقال لها :

ـ لقد سمّيْتُه قُثَم .

كان لعبدِ المطلبِ ولدٌ اسمه قُثَم ، ماتَ وهو ابن

تسعِ سنين ، فحزِن عليه حزنًا شديدا ، فلما جـاءت آمنةُ بغلام ، أراد عبدُ المطلـب أن يُسـمِّيَه «قُثـم» ؛ تخليدا لذِكرَى ابنِه الـذى كـان يُحبُّـه ، ولكـنَّ آمنـةَ قالت له :

ـ أُمِرْتُ فى منامى أن أسمِّيهُ مُحمّدا .

فضمَّه عبدُ المطّلبِ إلى صدرِه وقبَّله ، وقال :

ـ أرجو أن يكونَ لابنى هذا شأنٌ عظيم .

٥

كـان اليهـودُ يعيشـونَ فـى يَـثْربَ (المدينـة) مـع العرب ، وكانوا يقُولون لهم إنّهم ينتظِرُون نبيًّـا يـأتى ويَهْدى النّاسَ إلى النُّور ، وإنهم سيَنضمُّون إلى ذلـك النبيِّ عند ظهوره ، وإنهم سيَغْلِبُونَ به العرب .

وكان بعـضُ علمـاءِ اليهـود يقولـون للعـرب : إن هذا زمانُه .

وفـى نفـسِ اللّيلـةِ التـى وُلـد فيهـا مُحمـد ، كـان يهـودىٌ يرصـدُ النُّجُـوم ، فـرأى نَجْمًـا لم يـرَه فـى السَّماء من قبل ، وكان هذا دليلا على مولِـدِ نبـىّ ، فقام اليهودىُّ على محلّ مرتفع ، وصاح :

ـ يا معشرَ اليهود .. يامَعْشَرَ اليهود .

فاجتمع الناسُ حوله ، وراحوا يسألونه :

ـ ماذا جرَى ؟ ... ماذا جرى ؟

ـ أمرٌ جليل .

ـ ويلَك ! مَالَك ؟

ـ طلعَ الليلةَ نَجمُ أَحْمد .

٦

وفى نفسِ اللّيلة ، كانَ يهوديٌ يَمـرُّ على مجـالِسِ قريش ، ويقول :

ـ هل وُلِد فيكم الليلَةَ مولود ؟

فينظرُ الناسُ إليه فى عجب ، ويقولون :

ـ واللّه لا نَعْلم .

فيقولُ اليهودىّ :

ـ احفَظُوا ما أقُوله لكم ، وُلِدَ هذه الليلَةَ نبيٌّ هذِه الأمة .

كَان اليهودُ ينْتَظِرون مجىءَ محمد ، ولكنه لما جـاء إليهم ، ودعاهم إلى اللّه ، كذّبُوهُ ولم يُصَدِّقُوه !

٧

وفى اليومِ السابع من موْلِدِ محمَّد ، أمرَ عبدُ المطَّلبِ بذبحِ الذَبائح ، ودعا عظماءَ قُرَيْشٍ إلى وليمةٍ أعدَّها لهم ، فلمَّا جَاءُوا وأكلوا ، خرج عليهم بمحمَّد ، فراحُوا ينظُرونَ إليهِ فى عَطْف وإشْفاق ؛ لأنَّه يتيم ، ولأن أباهَ مات قبل أن يراه .

وقال رجلٌ منهم :

ـ ماذا سمَّيتَه يا أبا الحارث ؟

فقال عبدُ المطلب :

ـ سمَّيتُه مُحمدا !

فقال رجلٌ آخر فى عجَب :

ـ ما حَملك على أن تُسمِّيَه مُحمدا ، وليس من أسمَاء آبائك ولا قَوْمِك ؟

لم يَشأ عبدُ المُطّلب أن يقولَ لهم إن آمِنَة أُمِرَت في منامها أن تُسَمِّيَه مُحمدا ، لأنها طَلَبَت منه أن يَكْتم ذلك ، فقال :

ـ أردْتُ أن يَحْمدَه اللّهُ في السَّماءِ ، وتَحْمَدَه النّاسُ في الأرض .

وانصرف النّاس ، وما درَى أحدُهم أن هذا المولودَ الذى أشفَقُوا عليه ، جاء لِيُخْرِجَهم من الظُّلماتِ إلى النُّور ، وأنّه دعوةُ إبراهيمَ التى دعاها يومَ أمرَهُ الله أن يبْنىَ الكعْبة ، ﴿ ربَّنا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم ، يتْلُو عليهم آياتِك ، ويُعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم ، إنّك أنتَ العزيزُ الحكيم ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

حليمة السعدية

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فقدْ لبِثْتُ فيكم عُمرًا من قَبلِه ، أَفلا تعْقِلون ﴾ .

(قرآن كريم)

وضعَتْ آمنةُ ثديَها فى فَم ابْنِها ، فى اليوم الثانِى لمولِده ، فلم تجدْ فيه لَبَنا ؛ فقد جَفَّ لبنُها ، لِمَا أصابَها من حُزْنٍ لموتِ زوْجِها . وكان الحرُّ شديدا فى مكة ، فَخَشِيتْ آمِنَةُ أن يُؤَثِّر هذَا الحرُّ فى ابنِها ، فراحت تبحثُ عن مرْضعٍ تُرْضِعُه ، حتى تأتِيَ المراضِعُ من البادِيَة ، فتُعطِيَهُ مُرْضِعا منهُن ، تأخذه معها بعيدًا عن حرِّ مكَّةَ الشديد .

ووجدت آمنةُ أنَّ ثُوَيْبَةَ جاريةَ عمِّه أبى لهبٍ تُرْضع ابْنَها ، فأعطَتْها مُحَمَّدًا لتُرضِعَه ، فأخذَتْهُ ثُوَيْبَة ، وأرضَعَتْهُ ثلاثةَ أيام ، وبعدها علِمتْ آمنةُ أن المراضعَ جئن من البادِية إلى مكة ، يلتمسنْ الأطفال ، فطلَبتْ من جَدِّه عبد المطلب ، أن يَخرُج ، ليبحثَ له عن مُرْضع .

٢

لم ينزِلِ المطرُ في هذه السنة ، فلم تنبُتِ المراعى في هَوازن . وهي قَبيلةٌ من قبائل العرب ، فكانت سنةً شديدةً على الناس ، حتى إن عشرًا من نساءِ بنى سعد ، من هوازن ، خرجْنَ إلى مكةَ يطلُبْن الرُّضَعاءَ ، وكانت من بينِهِن حليمةُ بنتُ أبى ذُؤَيب ، وخرج معَها زوجُها الحارِثُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وكانت تحمل ابنَها عبدَ اللّه ، وترضعُه .

ركِبَت حليمةُ حِمارَها الأبيض ، ومعها ناقةٌ مُسنة ، ليس فى ضَرْعها قَطْرةُ لَبَن . وسار الرِّجالُ والنِّسوةُ فى طريقِهم إلى مكة ، حتى إذا جاءَ الليلُ ناموا فى خَيْمة ، وما كانت حليمةُ وزوجُها ينامان من بكاءِ ابنِهما . كان يَبْكى من الجُوع ، فما كان فى ثَدْى حليمةَ لبن ،

ولـولا الشِّـدةُ التـى كـانت فيهـا مــا خرجَــتْ تطلــبُ رُضَعاء. كانت تَطْمَعُ فى أنْ تأخُذ ابــنَ غنــىٍّ يدفـعُ لهـا مالاً كثيرا يساعِدُها على العَيْش .

وفى الصباح ، استأنفُوا السيرَ إلى مكة ، وقد تأخَّرُوا عـن الوصـولِ إليهـا ؛ لأن حمارَ حليمـةَ كــان ضَعيفـا هزيلا ، فكانُوا يُضْطَرُّون إلى انتظارِها .

وأخيرًا وصلُوا إلى مكّـة ونزَلُوا بهـا ، وانتظَـرُوا أن يأتِىَ منْ يَطْلبُ المرَاضع . وكانت كلُّ مُرْضِع ترجُو أن تعُودَ ومَعها طفلٌ من أَبناء الأغْنِياء .

٣

خرجَ عبدُ المطَّلبِ إلى المراضع ، يَعرضُ عليْهن حفيدَهُ مُحمَّدا ، فراحَ يدُور عليْهن ويقول :

ـ يا هذهِ ، إن عندِى غلاما يَتيما ، أتأخُذِينَه ؟ فتقول المُرْضِع وهى تُعْرِضُ عنه :

ـ ما عند اليتِيمِ منَ الخَيْر ؟ ! إنَّا نلتمسُ الكرامةَ من الآبَاء .

واستمرَّ عبدُ المطلب يَعرضُ على المراضِع أخذَ محمَّد ، ولكنَّهُن رفَضْنَ أن يأخُذْنَه ، لأنَّه يتيم ، ليس لهُ أبٌ تُلْتَمَسُ الأموالُ منه .

وأخذَتْ كلُّ مرْضع طِفلا ، وعبدُ المطَّلب يعْرِضُ حفيدَه عَليْهن فيقُلْن له :

ـ يتيم ؟ ! ما عَسى أن تَصْنَعَ أمُّه وجدُّه !

كرِهتْهُ المراضعُ لذلك ، وما بقيتِ امرأةٌ إلا أخذَتْ رضِيعًا غيرَ حليمة ، وأجمعت النِّسْوَةُ على الرُّجوعِ إلى ديارهن ، فالتفتت حليمةُ إلى زوْجِها الحارث ، وقالت :

ـ واللّه إِنِى لأكرهُ أن أرجِعَ من بين صَواحبى ولمْ آخذْ رَضِيعا .

ورآها عبدُ المطَّلب تنتظِر ، فذهب إليها ، وقال :

ـ من أنت ؟

فقالت حليمة :

ـ أَنا امرأةٌ من بنى سَعْد .

ـ ما اسْمُك ؟

ـ حليمة .

فتبسَّم عبدُ المطلب وقال :

ـ سعدٌ وحِلم ! خَصْلتان فيهما خيرُ الدَّهر ، وعزُّ الأبَد . يا حَليمة ، إنَّ عندى غلامًا يتيمًا ، وقد عرضْتُهُ على نساءِ بنى سعد ، فأبيْنَ أن يقْبَلْنَهُ ، وقُلن : ما عندَ

اليتيمِ مِن الخير ! فهل لك أن تُرضعيه ، فعَسى أن تسعَدِى به ؟

فقالت له حليمة :

ـ انتظرنى حتى أشاورَ زوجى .

وشاورَتْ زوجَها ، فقال لها : خُذيه .

فرَجَعت إلى عبدِ المطلب وقالت :

ـ أينَ الصبىّ ؟

فرِح عبدُ المطلب ، لأنّه وجدَ مُرضِعا لمحمَّد ، وقال لها :

ـ تعالَىْ .

وأخَذها إلى بيتِ آمنة ، فقابلتْها آمنةُ مرحِّبة ، وأدْخَلتها إلى حيثُ ينام محمد . نظرتْ إليه حليمة ، فوجدَتْه ملفُوفًا فى ثوبٍ من الصوفِ الأبيض ، وتحتَه حريرةٌ خضراء ، راقِدًا على قَفاه ، فأشفَقت أن توقِظَه من نَومه ، لحُسْنِه وجماله ، فوضعتْ يدَها على صدره ،

فتبسَّم ضاحكا ، وفتَّح عينَيْه ، فأحسّت حليمة انجذابا إليه ؛ أحبَّتْه لَمّا رأتْه ، فمالت عليه ، وقبَّلَتْهُ بين عينيه ، ثم مالت وحَملَته ، وخرجت به إلى صواحبها .

٤

وضَعتْهُ حليمةُ فى حِجْرِها ، ووضَعتْ ثديَها فى فَمه ، فإذا بثَدْيها قد امتلأ لبنا ، فأرْضَعَته وهى تَعْجَب ، وأرضعت ابنَها عبدَ اللّه حتى ارْتَوى ، ولما جاءَ الليلُ نامُوا مِلْءَ الجفون ، وما كانُوا ينامُون من صِيَاح عبدِ اللّه ، الذى كان يَبْكى من الجوع .

وفى الصّباح قامَ الحارِثُ زوجُ حليمةَ إلى الناقةِ المسنَّة ، فحلب منها ما شرب ، وما قدَّمه لحليمةَ حتى شبعَت ، فقال الحارثُ لزوجته :

ـ تعلَّمِى ياحليمة ، لقد أخذتِ نَسمةً مباركة .

فقالت له حليمة :

ـ واللّه إنى لأَرْجُو ذلك .

واستعدَّ القومُ للعودةِ إلى بنى سعد ، فركِبتْ حليمةُ حمارَها الهزيل ، وحَمَلت محمَّدا معها وإذا بالحمارِ يجرى حتى يسْبِقَ الرَّكْب ، فنظر صواحبُها إليها فى عَجَب .

ـ يا حليمة ، أليسَ هذا حمارَك الذى خرجْت عليه؟

ـ إنه هُو .

٥

ترعْرَع محمدٌ فى بنى سعْد ، حتى إذا بلغَ سنتيْن ، خرجت به حليمةُ إلى أُمّه وهى حزينَة ، أحبَّتْه حبًّا شديدا ، حتى كان يُحزِنُها أن تفارِقَه .

وضمّتْ آمنةُ ابنَها إليها فى حُب ، وقبَّلتْه ، وأرادت أن تبقِيَه إلى جوارِها ، وأحسَّت حليمةُ ألما لفراقه ، فقالت لآمنة :

ـ دعِينَا نرْجِعْ به هذه السنةَ الأخرى ، فإنى أخْشى عليه وَباءَ مكة .

وظلت حليمة تتوسل إليها أن تردَّه معها سنةً أخرى ، حتى قبلت آمنة ، ففرِحَتْ حليمةُ وأخَذَتْهُ مسرورة ، فقد كانت تحرِص على أن يمْكُثَ فيهم .

وعادت به إلى دارِها ، فكان يخرجُ ينظُر إلى الصّبيـان يلعبون فَيَجْتَنِبهُم ، ويَبحثُ بعينَيْهِ عن أولادِ حليمةَ فلا يجدُهم . فذهبَ إليها يومًا وقال :

ـ ما لى لا أرَى إخْوَتِى بالنهار ؟

فقالت به :

ـ فَدَتْكَ نَفْسِى ، إنَّهم يرْعَوْن غَنَمًا لنا .

ـ ابعَثِينى معهم .

وخرج محمدٌ يرعى الغنم ، وكان يخرجُ مسرورا ، ويعودُ مسرورا ، ينظُر إلى السَّماءِ وإلى الفَضاء . وفى ذاتِ يومٍ خطر له أن يصْعدَ فى الجبل ، فراح يرتَقِيه ، ورآه ابنُ حليمةَ وهو يَصْعد ، فجرى إلى أُمِّه يخبرُها ، فراحت حليمةُ وزوجُها الحارثُ يَعْدُوان ، حتى إذا بلغَاه وجدَاه جالسًا على قِمّةِ الجبل ينظُر إلى السماء ، كان على رَغْمِ صغرِه مشغولاً بالكون يُقَلِّبُ

بصرَه فيه .

فحملته حليمة ، وقبَّلَتْه بين عينيه ، وأخذت تَهْبِطُ به ، دونَ أن يخْطُرَ على بالِهاَ أنّه قد ارتبطَت الأسبابُ بينَه وبين السماء .

٦

وأقيمَ سوقُ عُكاظ ، وكان العربُ يجْتَمِعُون فيها ، يَذْكرُون مفاخِرَهم . وكان المنجِّمُون يَكثُرون فى هذه السوق ، والناسُ يَعرِضُون صبْيَانَهم عليهم . ورأت حليمةُ أن تذهبَ إلى هذه السوق ، فلما بلغتها قدَّمت مُحمدا إلى العراف (المنجِّم) ، فنظر العرَّافُ إليه وصاحَ :

ــ يا معشرَ العرب ، يا معشرَ العرب .

فاجتمع الناسُ إليه ، فصاح :

ــ اقْتُلوا هذا الصَّبىّ .

والتفتَ فلم يجدِ الصبىّ ، وكانت حليمةُ قد فرّت حمَّد ، فصاح الناس :

ــ أىَّ صَبىّ ؟

فيقولُ العراف :

ـ رأيتُ غلاما ، والآلهةِ ليقتُلنَّ أهلَ دينكم ، وليُكَسِّرَنَّ آلِهَتكم ، وليَظْهَرَنَّ أمرُه عليكم .

٧

أصبح عُمْرُ محمدٍ ستَّ سنوات ، فأخذَتْه حليمةُ لتعيدَه إلى أمِّه ، ولما لاحتْ لها مكة ، التفَتتْ إليه ، فلم تجده ، فراحتْ تبحثُ عنه ، فلما لم تجدْه قَلِقَت ، وذهبَت إلى جدِّه عبد المطلب ، وقالت له :

ـ إني قَدِمْتُ بمحمدٍ هذِهِ الليلة ، فلما كنتُ بأعالِي مكةَ أضلَّني ، فواللّه ما أدْرِى أين هو ؟

وكان رجلانِ من قريْش قادِمَيْن إلى مكة ، فوجدا صبيًّا صغيرا في وادى تهامة عند الشجرة ، يقلِّبُ وجهَه في الكون ، فقالا له :

ـ من أنت ؟

فقال في ثبات :

ـ أنا محمدُ بنِ عبدِ اللّه بن عبدِ المطلب بنِ هاشم.

فاحتملاه ، وذهبا إلى عبد المطلب ، فلما رآه جَدُّهُ قام إليه يعانِقُه ، وفرحت حليمةُ به ، وأخذَتهُ إلى أمِّه ، فقالت لها آمنة :

ـ ما أَقدمَكِ به ، وكنتِ حريصة عليه ، وعلى مُكْثِه عندك ؟

فقالت حليمة :

ـ قد قَضَيْتُ الذى عليّ ، وتخوّفتُ عليه الأحداث فأدَّيْتُه إليك كما تحبِّين .

وتركَتْهُ حليمةُ لأمه وانصرفت . ولن يَمْكُثَ محمدٌ مع أُمّه طويلا ، إن هى إلا أَشْهرٌ قليلة ، حتّى تموتَ آمنةُ وتتركَه ، فقد كُتِبَ عليه أَن يَشِبَّ يتيما .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

اليتيم

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ
فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ
تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ﴾ .

(قرآن كريم)

١

رأتْ آمِنــةُ أن تخــرجَ بابنِهــا محمَّـــد إلى يَــثْرِب (المدينة) ، ليزورَ أخوالَه من بنـى النَّجَّار ؛ فراحـتْ تستعِدُّ لرحلـةٍ طويلـة ، فــى الصَّحْـراءِ المترامِيــة ، فأمرت أُمَّ أيمـن ، وكـانت جاريـةً ورِثهـا محمـدٌ عـن أبيه ، أن تُعِدَّ طعاما ، وأن تُجَهِّـزَ جمـلا ، تضـع فوقَـه هَوْدجًا يحميهم منَ الشمسِ الحاميةِ فى الطريق .

وانتظـرت آمنـةُ حتـى وجــدتْ قافلــةً ذاهبــةً إلى المدينة ، وأخذت معهـا محمَّـدًا وأمَّ أيمـن ، وانضمـت إلى الرَّكْـب ، واسـتمرتِ القافلـةُ فـى سـيرِها حتــى بلغتِ المدينة ، فذهبت آمنةُ وابنُها إلى بنــى النجـار ، وتعـرَّف محمـدٌ بأخوالِـه ، ومكـث عندَهـم شـــهرا ، يتمتَّعُ بجوِّ المدينةِ اللَّطيف ، ويسـمعُ خَريرَ المـاء فـى الحُقُول ، وينعَـمُ بـالحدائقِ والزُّهـور ، فقـد نشـأ فـى

مكَّة ، حيث الحرُّ الشديد ، والفضاءُ الواسعُ كبحرٍ هائل من الرِّمال .

وفى المدينةِ تعلَّم محمدٌ العَوْم ، ولعِبَ مع أبناء أخواله . ولما انتهتِ الزِّيارة ، وخرجتِ القافلةُ من يثرب . هبت عاصفةٌ شديدةٌ فى الطريق لم تحتملْها صحَّةُ آمنة . وفى ليلةٍ من الليالى ، ماتت آمنةُ فى الطريق ، ومحمدٌ يذرفُ عليها دمعَه ؛ وحملتها أمُّ أيمنَ إلى قريةِ « الأبواء » ودفنتها بها . واستأنفتِ الجاريةُ والغلامُ اليتيمُ الرِّحلة ؛ وعاد محمدٌ إلى مكة ، والحزن يعتصِر قلبه .

٢

عاش محمدٌ فى رعايةِ جَـدِّه عبـدِ المطلـب ، وكـان جدُّه يُحبُّــه ، ويعطـفُ عليـه ، لا يـأكلُ إلاّ إذا أكـلَ معـه ، ولا يخـرجُ إلاّ إذا خـرج معـه ، وكـان يُوضَـع لعبدِ المطّلبِ فِـراشٌ فـى ظـلِّ الكعبـة ، فكـان أبنـاؤه يجلسـون حـول فِراشـه ذلـك حتى يخرجَ إليــه ، لا يجلسُ عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له ، فجاء محمدٌ مـرَّةً وهـو غـلام ، وجلـس عليـه ، فـأخّره أعمامُـه عنـه ، ورأى عبدُ المطّلب ذلك منهم ، فقال لهم :

ـ دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأناً .

ثـم أجلسَـه علـى الفـراش ، وراح يمسَـح ظهـرَه بيدِه .

٣

ومرِض عبد المطّلب ، فلزِمَ فراشَـه ، فكـان أبنـاؤه يأتونَ إليه يزورونَه ؛ وكان محمدٌ يقِـفُ بـالقربِ مـن سـريرِ جَـدِّه ، وينظُـر إلى وجهِـه الذّابـل ، فيُحِـسُّ حزنا . لقد ماتت أمُّه وتركتْه ، فكفلهُ جَدُّه ، وها هو ذا جدُّه يموت ، فمن يَكفُلُه من بعده ؟

عَرفَ محمدٌ ألمَ اليُتْم ، وسكن قلبه الحُـزن ، فـأخذ ينظُر إلى جدِّه المريض ، وفي فؤادِه أسىً عميق .

ولَمَحه جـدُّه وهـو ينظـر إليـه دامـعَ العـين ، فتحركت شفقتُه ، فدعاه ، وراح يمسحُ ظهـرَه بيـدِه في حَنَان ، ثم أوصى ابنَه أبا طالب أن يكفُلَهُ بعدَه .

ومات عبدُ المطّلب ، ووقف محمـد خلـف سـريرِه يـذرُفُ الدَّمـعَ السَّخين ، وحزِنـت مكـةُ علـى عبـدِ

المطَّلبِ حُزْنا لم تحزَنْه على أحدٍ قبلَه ، وأُغلِقت الأسواق ، فلم تَقُم بمكةَ سوق لموتِه .

وأخذ أبو طالبٍ محمَّدًا اليتيم ، وضمَّه إلى أولاده ، وأحبَّه أبو طالبٍ حبّا فاقَ حبَّه أبناءَه ، فما كان يأكل ألاّ مَعه ، ولا ينامُ إلاّ إلى جنبِه .

٤

قَريشٌ تستعدُّ لخروج القافلة إلى الشّام ، والإبلُ في السُّوق محمَّلةً بالبضائع ، والْحَمِيرُ والبِغالُ تغدو وتروح .

وكان على رأس القافلة أبو طالب ، فلما ركِب ناقَته ، واستعدَّ الجميعُ للسَّير ، أمسك مُحمَّدٌ بزمامِ ناقةِ أبي طالب ، وقال :

ـــ يا عمَّ ، إلى مَن تَكِلُني ، ولا أبَ لى ولا أمّ ؟

فرقّ له قلب أبى طالب ، وقال :

ـ واللّه لأخرُجنَّ به معى ، ولا يفارقُنى ولا أفارقُه أبدا .

ثم أركبَه على الناقةِ خَلْفه ؛ ففرح محمدٌ فرحًا شديدا ، فهو يخرج لأوّل مرَّةٍ من مكة ، ليرى عالما جديدا ، لم تقع عليه عينُه قبل الآن . وسارت القافلة فى الصّحراء أيامًا وليالى ، حتى وصلت إلى سوقِ بُصْرَى ، وهى مكانٌ بشرق الأردُنّ ، وكان يأتى إليه التّجار الرومان ، ليقايضوا العرب ببضائعهم .

وكان بالقربِ من السوق دير ، وكان بذلك الدير راهبٌ اسمُه بَحيرا ، وكانت قوافلُ العربِ تمرُّ بالدير فلا يلتفتُ إليها بَحِيرا ، ولكنَّ هذه القافلَةَ التى بها محمد ، لفتتْ نظَره ، فأرسلَ إلى أبى طالب :

ـ إنى قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قُريش ، وأحِبُّ أن تَحضُروهُ كلُّكم : صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرُّكم .

فتعجَّبوا من أمرِه ، وقال رجلٌ منهم :

ـ بَحيرا ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وكنّا نمرُّ عليكَ كثيرا ، فما شأنُك اليوم ؟

فقال بَحيرا :

ـ صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنّكُم ضَيْف ، وقد أحبَبْتُ أن أُكرمَكم ، وأصنعَ لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلُّكم .

فذهبوا إليه ، وتخلّف مُحمد ، وجلس وحدَه تحتَ الشَّجرة ، فقال بَحيرا :

ـ يا معشرَ قريش ، لا يتخلّفْ أحدٌ منكُم عن طعامى .

فقالوا :

ـ يا بَحيرا ما تخلّفَ عن طعامِك أحدٌ ينبغى له أن يأتيَك ، إلاّ غُلام ، وهو أحدثُ القوم سنّا .

فقال بَحيرا :

ــ فليحضُر هذا الغلامُ معكم ، فما أقبحَ أن تحضُروا ويتخلَّفَ رجلٌ واحد ، مع أنىّ أراهُ من أنفسِكم .

فقال رجل :

ـ واللّاتِ والعُزّى (صنمان كانوا يعبدُونهما) إنّهُ لُؤمٌ منّا أن يتخلّفَ ابنُ عبدِ اللّه بن عبد المطّلب ، عن طعام من بينِنا .

ثمَّ قام إليه ، وجاء به فأجلسَهُ مع القوم .

وجلس محمدٌ إلى جوارِ بَحيرا ، وأقبل بَحيرا عليه يحدّثه . قال له :

ـ بحقِّ اللّاتِ والعزّى إلاّ ما أخبرتَنى عمّا أسألُك عنه ؟

وكان محمَّدٌ يكرهُ الأصنام ، ولا يعترف باللاّت والعُزَّى وهُبَل ، والأصنام الأخرى التى يعبُدها قومُه ، فقال :

ــ لا تسألْنى باللاّتِ والعُزَّى شيئا ، فواللّه ما أُبغِضُ شيئًا قطُ بغضَهما .

فنظر إليه بَحيرا مدة ، ثم قال :

ــ فباللّه إلاّ ما أخبرتنى عما أسألُك عنه ؟

فقال له محمد :

ــ سلْنى عما بدا لك .

فجعل بَحيرا يسألُه عن أشياءَ من حالِه ، ومن نومِه . فلما فرَغ ، ذهبَ إلى أبى طالب ، وقال له :

ــ ما هذا الغلامُ منك ؟

قال أبو طالب : ابنى !

فقال بَحيرا فى توكيد ؛ لأنه كان يعلمُ أن النّبىَّ المنتظرَ يشِبُّ يتيما :

ــ ما هو ابنَك ، وما ينبغى لهذا الغلامِ أن يكونَ أبوه حيّا .

قال أبو طالب :

ـ فإنه ابنُ أخي .

ـ فما فعلَ أبوه ؟

قال أبو طالب : مات وأمُّه حبْلَى به .

ـ صدقت ، وما فعلتْ أمُّه ؟

ـ تُوُفِّيت قريبا .

ـ صدقت . فارجع بابنِ أخيك إلا بلادِه ، واحذَرْ عليه اليهود ، فواللَّه لئن رأوه ، وعرَفوا منه ما عرَفت ليَقْتُلُنَّه .

٥

عاد مُحَمَّدٌ من الشام ، فكان يرعَى غنَم أهله ، يَمضى نهارَه في الفضاء يتأمَّل الدنيا ، وينظُر إلى السَّماء ، فتتفتَّح لهُ أسرارُ الكوْن ، ويحنو على الغنم الضَّعيفة ، فتسكُن قلبَه الرأفة . كانت رعايةُ الغنمِ إعدادًا له لرعايةِ الناس !!

وفى ذاتِ ليلة ، أراد مُحَمَّدٌ أن يَلْهوَ في مكة كما يلهو الفِتيان ؛ كان أغنياءُ مكة يُقيمونَ في بيوتِهم الحَفَلاتِ الصاخبة ، فتُغنِّى المغنيات ، وترقص الراقصات . وكان الفِتْيان يذهبون إلى تلك الحفلاتِ ، يُشاهدون الرقص ، ويستمعونَ إلى الغِناء ، فالتفتَ إلى فتىً كان يرعَى معه الغنم ، وقال له :

- احْرُسْ عليَّ غنمى حتى أسْمُرَ هذه الليلةَ بمكـة ، كما يسمُرُ الفِتيان .

قال الفتى : نعم .

وراح الصَّبىُّ يحرُسُ غَنَمَ محمَّـد ، وذهـب محمَّد ، حتى إذا بلغَ دُورَ مكة ، سمِع غِناءً وصوتَ دُفوفٍ ومزامير ، فقال :

- ما هذا ؟

- رجلٌ من قريش تزوَّجَ امرأةً من قريش .

وجلس لينظر ، وإذا بالنومِ يغلِبه ؛ فنامَ دون أن يَرَى أو يسمعَ شيئا ، ومرَّ الليل ، وما أيقظه إلا حرُّ الشمس ، فقام وعاد إلى غنمِه .

إن اللّه الذى عَصمَه من أن يعبُد الأصنام ، عصمه من أن يلهُو كما يلهو فِتيانُ قريش ؛ لأن اللّه كان يُعدُّه لأمر عظيم .

٦

قدم رجلٌ إلى مكةَ يبيــع بضاعَــتَه ، فاشـتراها منـه أحدُ أشرافِ قريش ! ولكنه لم يُعطه حقّه ، فذهب الرَّجُلِ إلى أشرافِ القوم ، يسألُهم أن يُساعدوه على ردِّ حقّه ، فرفضوا . فصعـد الرجل على جبلِ أبى قُبيس وهو جبلٌ بمكـة ، وراح يصيـح ، يطلبُ من ينصُرُه . فقام إليه الزُبيرُ بن عبدِ المطّلب ؛ عمُّ محمد ، وأشرافُ قريش ، ودخلوا دارَ ابن جُدْعان ؛ وكان دارَ المشـورةِ والاحتفـالاتِ بمكـة ، ودخـل محمَّد معهـم ، واتّفقـوا علـى أن يكونـوا يـدًا واحـدة مع المظلومِ على الظالم ، حتى يُردّوا إلى المظلومِ حقّه .

وساروا إلى الشّريف ، الذى لم يدفـعْ لـلرَّجلِ ثمن بضاعتِـه ، وأخـذوا منـه البضاعـةَ ، وردّوهـا إلى الرجل .

اشترك محمَّد فى هذا الحِلْف الذى أُطْلِقَ عليه حِلفُ الفُضُول ؛ لأنه كان يَكرهُ الظلم ، ولأنه كان ذا عواطفَ نبيلة ، تدفعه إلى مدٍّ يدِ المعونةِ إلى المظلوم والمغبون .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

خديجة بنت خويلد

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

شَبَّ محَّمد حتى بلغَ الخامسةَ والعشرين ، وقد اشتهرَ أمرُهُ فى مكَّة ، وعرَفَ النّاس فيه النزّاهة ، وطهارةَ الذمَّة ، والعِفَّة ، والأمانة ، فسمَّوه «الأمين» . وفى ذاتِ يومٍ كانت مَكَّةُ تستعِدُّ لخروج تجارةِ خديجةَ بنتِ خُوَيْلد ، وكانت خديجةُ من أشرافِ قريش ، ومن أغنيائِها ؛ كانت تستأجرُ الرِّجالَ للخروجِ فى تجارتِها ، وتُقرِضُ التُّجارَ الأموالَ ليُشاركوها فى تجارتِها ، وفى أرباحِها ، حتى تضمَنَ أن يُخلِصوا لها .

وفى ذلك اليوم قابلَ أبو طالبٍ محمَّدا ، فقال له :

ــ أنا رجلٌ لا مالَ لى ، وقد اشتدَّ الزمان ، وأقبلتْ علينا سِنونَ مُنْكَرة ، وليس لنا تجارة ، وهذه

قوافل قومِك قد حضر خروجُها إلى الشام ، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِد ترسل رجالا من قومِك فى قوافِلها ، فيتّجرونَ لها فى مالِها ، ويُصيبون منافع ، فلو جئتَها وعرضْتَ نفسكَ عليها ، لأسرعَتْ إليك ، وفضَّلتْك على غيرِك ، لما يبلغُها عنك من طهارَتِك .

فقال محمد :

ـ فلعلها أن تُرسلَ إلىَّ فى ذلك .

فقال له عمُّه أبو طالب : إنه يَخاف أن تُولِّىَ غيرَه ، إذا لم يَعْرِضْ نفسه عليها .

ولكنَّ محمَّدا أبى أن يَعْرِضَ نفسهَ ، فما كان يُحِبُّ أن يُكلِّمَ أحَدًا فى أن يفعلَ له شيئا .

٢

ذهب أبو طالب إلى خديجة ، وقال لها :

ـ هل لكِ أن تستأجرى محمَّدا .

فقالت له خديجة :

ـ لو سألتَ ذاك لِبَعيد بَغيض لَفعلنا ، فكيف وقد سألتَ لحبيبٍ قريب ؟

وأَرسلت خديجةُ إلى محمَّد ، فلما جاءَها ، قالت له :

ـ إنِّى دعانى إلى أن أُرسِلَ إليك ، ما بلغنى من صِدْق حديثِك ، وعِظَمِ أمانَتِك ، وكَرَمِ أخلاقِك ، وأنا أعطيك ضِعفَ ما أعطِى رجلا من قومِك .

وقبِل محمَّدٌ أن يَعملَ فى تجارةِ خديجة ، وقَابلَ عمَّه أبا طالب ، وذكرَ له ذلك ، فقال له عمُّه :

ـ إن هذا الرِّزقَ ساقه اللّه إليك .

٣

تأهَّب محمَّدٌ للخروجِ فى تجارةِ خديجة ، مع عبدِها مَيْسرَة ، فجاء أعمامُه يودِّعونَه ، ويُوَصُّون به الرِّجال . كانت هذه أوَّلَ مَرَّةٍ يخرجُ فيها وحدَه . وسارت القافلةُ ليالىَ وأيّاما ، ومحمَّدٌ وميسرةُ يتحدَّثان ، فيُعْجَبُ ميسرةُ بحديثِ محمَّد ، وحسنِ أخلاقِه ، وكانت الأيامُ تزيدُه قُربا من نفسه .

ووصلتِ القافلةُ إلى سُوقِ بُصْرَى ، فراح محمَّدٌ وميسرةُ يبيعان تجارةَ خديجةَ ، فكان بين رجل وبين محمد ، اختلافٌ فى سِلْعة ، فقال له الرَّجل :

ـ احلِف باللّاتِ والعُزَّى .

فقال محمَّد :

ـ ما حلَفتُ بهما قَطّ .

فقال له الرَّجل ، وهو ينظر إليه فى دَهَش ، فالعربُ جميعا يحلفونَ بهما :

ـ القولُ قولُك .

لم يعارض الرَّجلُ محمَّدا ، لأنه فَطَنَ إلى أنّه يختلفُ عن هؤلاء التُّجَّارِ الَّذين يحلِفونَ بالأصنام ، ويَكْذبون فى قَسَمِهم .

باع الرجالُ ما معهم ، وقد ربِحوا ربحًا عظيما ، فجاءَ ميسرةُ إلى محمَّد ، وقال له وهو فرحان :

ـ يا محمد ، اتّجَرْنا لخديجةَ سنين ، فَمَا ربِحنا ربحا قطُّ أكثَر من هذا الربحِ على وجهِك .

٤

وقفتْ خديجةُ فى غُرفةٍ عاليةٍ تنتظر ، فرأت الجمالَ والحميرَ والبغالَ قادمةً من بعيد ، وقد ارتفع غُبَارُها ، فعرفتْ أنّ قوافلَها عائدةٌ من الشام ، فقد حانَ وقتُ عَودتِها .

كانت القوافلُ القادِمةُ هى قوافلَ خديجة ، يسير فى مقدَّمِها محمَّدٌ وميسرة ، فالتفت ميسرةُ إلى محمَّدٍ وقال :

ـ هل لك أن تسبِقَنى إلى خديجة ، فتُخبرَها بما صنع الله تعالى على وجهك ؟

فتقدَّم محمَّد ، وكان الوقتُ ظهرا وخديجةُ واقفةٌ فى غُرْفَتِها تنظر ، فلما رأتْه وهو راكب على جملهِ عرفَتْه ، فاستعدَّت لاستقباله .

دخل محمَّدٌ عليها وسيمًا جميلا ، وراح يَقُصُّ عليها ما فعلَه في الرِّحلة ، ويُخبرُها بما ربحوا ، فتُصغِي إليه وهي مُنشرحة ، تُحسُّ قلبَها يَتَفَتَّحُ له . ولما انتهى من حديثِهِ ، قالت له :

ـ أينَ مَيْسرة ؟

فقال محمَّد :

ـ خلَّفتُه في الصَّحْراء .

فقالت له خديجة :

ـ عَجِّل إليه ، ليعجِّلَ بالإقبال .

أخبرها محمد بما رَبحت ، وهو ضِعفُ ما كانت تربح ؛ لم تكنْ تُريدِ ميسرةَ لتسمعَ منه أخبارَ التِّجارة ، بل كانت تُريده ليقُصَّ عليها أخبار محمَّد ، وما فعله في رحلته . ؟

٦

كَانت خديجةُ فى الأربعينَ من عمرها ، وكَان الناس يَدْعونَها « بالطّاهرة » ، و « سيدةَ قُريش » ، وكَانت جميلة ، بيضاءَ تميلُ إلى السِّمَن ، وكَان شعرُها أسودَ ناعما ، وعيناها واسعتين ، عرض عليها أشرافُ قريش أن يتزوَّجوها فرفضتهم ، لأنها لم تجدْ فيهم رجلاً كُفئا لها ، ولكنها لما رأت محمدا أحبته ، وفكَّرت فى أن تتزوَّجه ، ولكن كيف تفاتحُه فى هذا الأمر ؟

كان محمَّدٌ وميسرةُ يخرجان معا فى تجارتِها ، فتوطَّدت بينهما الصَّداقة ، فرأتْ خديجةُ أن تُرْسلَ إليه مَيْسرة ، يفاتحُه فى أمرِ زواجها ، فجاء ميسرةُ إلى محمّد ، وقال له :

ـ يا محمَّد ، ما يمنعُك أن تتزوَّج

فقال له محمَّد :

ـ ما بيدى ما أتزوَّج به .

فقال له ميسرة :

ـ وإن كُفِيتَ ذلك ، ودُعِيتَ إلى المالِ والجمال ، والشَّرفِ والكِفاية ، ألا تُجيب ؟

قال له محمَّد :

ـ فمنْ هى ؟

قال ميسرة :

ـ خَديجة .

فقال محمد ، وهو لا يكادُ يُصدِّق :

ـ وكيف لى بذلك ؟ !

فقال له ميسرة :

ـ أنا أفعل !!

٧

ذكر مَيْسرَةُ لخدِيجةَ أنه كلَّم محمَّدا فى أمر زواجه منها ، وأنَّه رحَّب بهذا الزَّواج ، فرضِيت خديجة ، وأرسلت إلى محمد :

ـ يا بنَ عمّ ، إنى قد رغِبت فيكَ لقرابتِك ، وشرفِك فى قومِك ، وأمانتِك وحسنِ خُلقِك ، وصدق حديثِك .

كانت خديجةُ قريبةَ محمَّد ؛ كان قصىٌّ جدَّه وجدَّها .

واتَّفقَتْ معه على ساعةٍ يأتى فيها مع أعمامِه ، ليُتمَّ الزواج ، وفى الساعةِ التى جُعِلَتْ مَوْعِدا ، جاء محمَّدٌ وعمُّه أبو طالب ، وحمزةُ بن عبدِ المطَّلب ، وأشرافُ قريش ، ودخلوا فوجدوا أهلَ خديجة ينتظرونهم .

قام أبو طالب ، وقال :

ـ إنَّ ابنَ أخي هذا ، محمَّدُ بنُ عبدِ اللّه ، لا يُوزَنُ به رجلٌ إلا رجَحَ به شَرفًا ونُبلا ، وفضلاً وعقلا ، وإن كان في المال قِلّ ، فإن المالَ ظِلٌّ زائل ، وقد خطبَ إليكم رغبةً في كريمتِكم خديجة .

فقام ورقة بنُ نوفلَ ــ وكان قريبَ خديجة ــ وقال :

ـ اشهَدوا عليَّ معاشرَ قريش ، أنّي قد زَوجتُ خديجةَ بنتَ خُوَيْلد ، من مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللّه .

فقال أبو طالب ، لأنه كان يُريد أن يسمعَ القَبولَ من أقربِ رجل إليها :

ـ قد أحببتُ أن يَشْرَكَكَ عمُّها .

فقام عمُّها ، وقال :

ـ اشهَدوا عليَّ معاشرَ قُريش ، أنّي قد زوجتُ خديجةَ بنتَ خُويْلد ، من محمَّدِ بنِ عبدِ اللّه .

وقام الرجالُ إلى الوليمةِ التي أعدَّها محمد ، وأمرت خديجةُ جواريَها أن يرقصنَ ويضربنَ بالدُّفوف . وتم زواجُ محمدٍ الأمين ، بخديجةَ الطاهرة ، سيدةِ قريش .

٨

واتفقت قريشٌ على تجديدِ الكعبة ، فجمعتِ القبائلُ من قريشٍ الحجارةَ لبنائها ـ كلُّ قبيلةٍ تجمعُ على حِدَة ـ ثم بَنَوها ، حتى بلغَ البنيانُ موضعَ الحجرِ الأسود ، فاختلفوا : كانت كلُّ قبيلةٍ تُريد أن يكونَ لها شرفُ وضعِه ، وزاد الاختلافُ حتّى استعدتِ القبائلُ للقتال .

واجتمع أشرافُ قريشٍ فى الحرم ، وراحوا يتشاورونَ فيما يفعلونه ، حتى لا تقومَ الحربُ بينهم ، فقال رجلٌ منهم :

ـ يا معشرَ قريش ، اجعلوا بينكُم فيما تختلفونَ فيه أوَّلَ من يدخلُ من بابِ المسجد ، يقضى بينكم فيه .

فقبلوا وانتظروا أوَّلَ من يدخل ، فكانَ أوَّلَ من دخلَ محمَّدُ بن عبدِ الله ، فصاحوا فرِحين :

ـ هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمَّد .

وأخبروه الخبر ، فقال :

ـ هلُمَّ (هاتوا) إلىّ ثوبا .

فجاءوا بثوب ، فأخذ محمَّدٌ الحجرَ الأسود ، فوضعه فى الثوبِ بيدِه ، ثم قال :

ـ لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثَّوب ، ثم ارفعوه جميعا .

فأخذتْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من زوايا الثوب ، ورفعوه بينهم ، حتى إذا بلغوا به موضعَه رفعه ، ووضعه بيده ، وبنى عليه .

رضِيت قبائلُ قريش بما فعل ، أشركهم جميعًا فى شرف رفعِ الحجرِ الأسود ، دون حربٍ أو قتال ، ونَجَّاهم برجَاحَةِ عقلِه من شَرٍّ مُستَطِير ، فقد كانت الحروبُ تَنْشِبُ لأتفهِ الأسباب .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الوحي

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأْ باسمِ ربِّك الَّذى خلَق ، خَلَقَ الإِنسانَ من علَق ، اقرأْ وربك الأَكْرم ، الذى علَّمَ بالقَلَم ، علَّمَ الإِنسانَ مَا لم يعْلم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عاش محمَّدٌ فى بيتِ خَديجةَ ؛ كان يُحبُّ زوجتَه ، وكانت زوجتُه تُحبُّه .

وكان محمَّدٌ فى ذلك الوقتِ يميلُ إلى التفكير ، فكان يُطيل التّأمُّل ، وخديجةُ تلاحظُ سُكونَه ، فتتركُه لأفكارِه ، ولا تضايقُه بكثرةِ حديثِها ، كما تفعلُ النساءُ مع أزواجِهن . كانت خديجةُ عاقلة ، فكانت تتركُ زوجَها إلى ما تميلُ إليه نفسُه .

كان محمَّد يعودُ من الكعبة ، فيفكِّر فى أمرِها ، وفى الثلاثمائةِ والستينَ صَنَما التى بها ، فَيَعْجَبُ من قومِه الذين يعبدونَ حجارةً ينحِتونها بأيديهم ،

حجارةً لا تَسمع ولا تَرى ، ولا تستجيبُ لدعوةِ عُبَّادها الَّذين يدعونها .

اهتدى محمَّدٌ إلى أنَّ لهذا الكونِ إلهًا واحدا هو الَّذى خلق الشمسَ والقمر ، والسماءَ والأرض ، والأنهارَ والجبال ، والإنسانَ والحيوان ؛ وأنَّ هذا الإلهَ الواحدَ هو الذى يجبُ أن يتوجَّه إليه الناس فى دعوتهم ، وهو وحدَه المستَحِقُّ للعبادة ؛ لذلك كان يأخُذُ طعامَه وشرابَه ، ويذهبُ إلى غارِ حِراء ، بعيدا عن ضَوْضاء الناس ، يعبُد اللّهَ فى ليلِه ونهارِه ، وكان يمكثُ فى الغارِ شهرًا من كلِّ سنة .

كان يُحبُّ الخلوة ، ففى الخلوةِ اتِّصالُ الإنسانِ بالكَون ، وفيها يفرُغُ القلبُ من أشغال الدنيا ، ويصفو الذهنُ وتُشرِق أنوار المعرفة . كان محمد

يَقْضِي الشهرَ في عبادة ، يُطْعِمُ من يمرُّ به من المساكين ، من الكعْكِ والزَّيت الذى يحمله معه .

وكان إذا نام فى الغار ، رأى فى نومِه رُؤًى ، فإذا استيقظ تحققت رؤاه ، فقد صَفَا روحه ، واتصلَ باللّه .

٢

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حِراء ، وهو فى الأربعينَ من عمره ، يحمل طعامَه ، يصومُ النهارَ يتعبَّد ، ويقومُ اللَّيلَ يتهجَّد . وغابتِ الشَّمس ، والتفَّ محمَّدٌ فى عبَاءِته ، ووضع رأسَه لينامَ قليلا ؛ كانت هذه الليلةُ من شهرِ رمضانَ هى ليلةَ القدر .

وسمِع محمَّدٌ صوتًا يقولُ له وهو نائم :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّدٌ له :

ـ ما أقرأ .

فيُحِسُّ شيئًا يضمُّه ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه . ثم يتركه ويقول :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضمُّهُ مرَّةً ثانية ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسه ، ثم يترُكه ويقول :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضُمُّهُ مرةً ثالثة ، حتى يكادُ يكتُم أنفاسَه ، ثم

يقول :

ـ اقرأ .

فيقول محمَّد :

ـ ماذا أقرأ ؟

فيقول المَلَك :

ـ اقرأْ باسمِ ربِّك الذى خَلَق .

خَلَق الإِنسانَ من عَلَق .

اقرأ وربُّك الأكرم .

الذى عَلَّم بالقلم .

علَّمَ الإِنسانَ ما لم يعلم .

واستيقظَ محمَّدٌ من نومِهِ فَزِعًا ، وخرج من الغار مُهرْولا ، وإذا به يسمعُ صوتًا من السماء ، يقول :

ـ يا محمَّد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبرِيل . فرفعَ محمَّدٌ رأسَه إلى السماء ينظر ، فإذا جبريلُ قدماه فى

أُفقِ السَّماء ، يقول :

ـ يا محمد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبريل .

فوقف محمدٌ ينظرُ إليه ، فما يتقدَّمُ وما يتأخّر ، وجعل يَصْرِفُ وجهَه فى آفاقِ السماء ، فلا ينظر فى ناحية منها إلا رآه .

ظلَّ محمدٌ ثابتا ، لا يتقدَّم ولا يتأخّر ، وأرسلت خديجةُ تبحثُ عنه ، وهو واقفٌ فى مكانه لا يتقدَّم أمامه ، ولا يرجع وراءه .

٣

رجع محمدٌ إلى خديجة ، وهو يضطَرب ، فقالت له :

ـ يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فواللّه لقد بعثْتُ رُسُلى فى طلبِك ، حتى بلغوا مكة ، ورجَعوا لى .

فقال لها وهو يرتجف :

ـ زمِّلونِى . زمِّلونِى .

فراحت خديجةُ تُغطِّيه ، حتى إذا هدأ ، قصَّ عليها ما رأى ، وقال لها :

ـ لقد خَشيتُ على نفسى .

فقال له خديجةُ فى إِيمان :

ـ كلا . أبشر ، فوالله لا يخزيكَ الله أبـدا ، إنـك لتصِلُ الرَّحِم ، وتصدُقُ الحديث .

وجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، وأنزل عليه القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلاَتَمْنُنْ تَسْتَكثِر﴾ .

نام محمَّد ليستريح ، وخرجت خديجةُ إلى ورقَةَ ابنِ نوفل ، وكان ابنَ عمِّها ، وقصتْ عليه ما رأى محمَّد . كان ورقةُ قرأَ الكتب ، ودرسَ التّوراةَ والإِنجيل ، فقال :

ـ والَّذِي نفسُ ورقة بيده ، لئن كنتِ صَدَقْتِني يا خديجةُ ، لقد جاءهُ النّاموسُ الأكبرُ (جبريل) الذى كان يأتى موسى ، وإنّه لَنبيٌّ هذه الأمَّة ، فقولى له فليثبُتْ .

رجَعت خديجةُ إلى رسولِ اللّه ، فأخبرتهُ بقولِ ورقة . وخَرج رسولُ اللّه يطوفُ بالكعبة ، فلقيه ورقة وهو يطوف ، فذهبَ إليه ، وقالَ له :

ـ يا بنَ أخي ، أَخبرْني بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره رسولُ اللّه ، فقال له ورقة :

ـ والّذِى نفسى بيده ، إنكَ لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبر ، الذى جاء موسى ، ولتُكَذّبنَّ ولتُؤْذَينَّ وَلَتُخْرَجنَّ ولتُقاتَلنَّ ، لئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصُرَنَّ اللّهَ نصرًا يعلمه .

٤

أصبحَ جبريلُ يجيءُ إلى محمَّـد ، يوحـى إليـه أوامرَ اللّه ، فأرادت خَديجةُ أن تتثبَّتَ من ذلك الـذى يـراهُ زوجها ، فقالت له :

ـ أَى ابنَ عمّ ، أتستطيعُ أن تخبرنى بصاحِبك هـذا الّذى يأتيك إذا جاءك ؟

قال محمد لها :

ـ نعم .

فجاء جبريلُ عليه السَّلام ، فقال رسولُ اللّـه ﷺ لخديجة :

ـ يا خديجة ، هذا جِبريلُ قد جاءَنى .

فقالت خَديجة :

ـ قم يا بنَ عمِّي ؛ فاجلس على فَخذِى اليُسرَى .

فقام رسولُ اللّه فجلس عليها وقالت خَديجة :

ـ هل تراه ؟

قال رسول اللّه .

ـ نعم .

قالت له خَديجة :

ـ فتحول ، فاجلس على فخِذِى اليُمنى .

فَتَحَوَّل رسولُ اللّه على فخِذِها اليُمنَى ، فقالت :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ نعم .

قالت :

ـ فتحولْ فاجلسْ فى حِجْرى .

فتحوَّل رسولُ اللّه ، فجلسَ فى حِجْرها ، قالت :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ نعم .

فكّشَفَتْ عن وجهها ورسول اللّه جالسٌ فى حِجرِها ، ثم قالتْ له :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ لا .

قالت :

ـ يا بنَ عمّ ، اثْبُت وأَبشر ، واللّه إنه لَملك ، وما هذا بشيطان .

٥

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حراء ، وانتظر أن يرى جبريل ، ولكن مرَّت مدةٌ طويلة ولم يرَه ، فحزِن حزنا عميقا ، ظنَّ أنَّ اللّه تاركه ، وفيما هو فى حُزْنِه إذ سَمع صوتا ينادِى :

ـ يا محمَّد ، إنك رسولُ اللّه حقًّا .

فرفع محمدٌ بصرَه إلى السماء ، فإذا بالمَلَك الذّى جاءه بحِراء ، قاعدٌ على كرسىٍّ فِى السماء ، ففرِح بعودتِه ، وأخَذ جبريلُ يُعَلِّمُه القرآن ، قال :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى ، مَا ودَّعَكَ ربُّك وَما قَلَى (أى ما تركك ، وما أَبْغَضَك منذ أَحبك

وَلَلآخِرَةُ خَـيرٌ لَـكَ مِـنَ الأُولَـى ، ولَسَـوْفَ يُعْطِـيكَ رَبُّكَ فتَرْضىَ ، أَلَـمْ يَجِـدْكَ يتِيمًـا فـآوَى ، وَوَجَـدَكَ ضَالاً فَهَدى ، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، فَأَمَّا اليَتِيمَ فَـلاَ تَقْهَـرْ ، وَأَمـا السَّـائِلَ فَـلاَ تَنْهَـرْ ، وأمـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَدِّث ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

المسلمون الأوائل

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أصابَ قريشًا قحطٌ شديد ، وكان أبو طالبٍ كثيرَ العِيال ؛ ولم يَنسَ محَّمدٌ ما فعلَه له أبو طالب لمّا كان يتيما ، ففكّر في أن يُعاوِنَ عمَّه في شدَّته ، فذهب إلى عمِّه العّباس وقال له :

ـ إن أخاكَ أبا طالبٍ كثيرُ العِيال ، والنّاسُ فيما نرى من الشِّدَّة ، فانطلق بنا إليه ، فلنُخفّف من عيالِه، تأخذُ واحدا ، وآخذُ واحدا .

فذهبا إلى أبي طالب ، وقالا له :

ـ إنا نريدُ أن نُخفّف عنك من عيالِك ، حتى يَنكشفَ عن النّاسِ ما هم فيه .

كان أبو طالب يُحبُّ ابنَه عَقِيلا ، فقال لهما :

ـ إذا تركتُما لى عَقيلا فاصنعا ما شئتما .

فأخَذَ محمدٌ ابنَ عمِّه عليّا وأخـذَ العبَّـاسُ جعفـرًا ؛ وتربَّى علىٌّ فى بيت محمد .

٢

آمنتْ خديجةُ بأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، وصدَّقتْ ما جاء به ؛ فكان إذا صلّى رسولُ اللّـه صلّـتْ خديجـةُ خلفَه ، وكانا يُصَلِّيان سِرّا لا يراهمـا أحـد ، ودخـل عليهما علىٌّ وهما يُصلّيان ، فوقف ينظر ، حتـى إذا انتهيا من صلاتِهما ، قال لمحمَّد :

ـ ما هذا ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـــ دينُ اللّه الّذى اصطفاهُ لنفسِه ، وبعثَ به رُسُلَه، فأدعُوكَ إلى اللّــهِ وحدَه لا شريكَ له ، وإلى عبادتِه ، وإلى الكُفْر باللّاتِ والعُزَّى .

فقال عليّ :

ـــ هذا أمرٌ لم أسمعْ به من قبلِ اليوم ، أَمْهلنى أشاورْ أبا طالب .

وكرِهَ رسولُ اللّه ﷺ أن يُفشِيَ عَلِيٌّ سِرَّه ، فقال له :

ـ يا عليّ ، إذا لم تُسلمْ فاكتمْ هذا الأمر .

ودخل عليٌّ حجرتَه يُفكّر ؛ إنَّ ابنَ عمِّه لم يكذبْ قطّ ، حتى سمّاه الناسُ « الأمين » ، وهو يدعوه إلى أن يكفُر بهذه الأصنام ، وأن يعبدَ اللّــه ، وكان بطبعِهِ ينفِر من عبادةِ الأصنام ، التى لا حوْلَ لها ولا قوَّة . فما إن أصبح الصباحُ حتى كان قد عقد العزمَ

على أن يدخلَ فــي الدين الجديـد ، فجـاء إلى محمَّـدٍ وقال :

ـ يا بنَ عمّي ، إني سمعتُ وأَجَبْت .

وأَسـلمَ علـيّ ، ورأى رسـولَ اللّـه ينظـرُ إليـه فـي حنان ، ويربِّتُ عليه ، فقال :

ـ يا رســولَ اللّه ، ما كنتُ لأسمعَ لأبــي طـالب ، أو أشاورَه في ديني ، فقد خَلَقني اللّــه ، ولم يشـاوِرْه في خَلْقي .

٣

خرج رســولُ اللّـه إلى جبـالِ مكـة ، وخـرجَ مَعـه عليّ ، ليصلّيا بعيدًا عن الناس ، وفيما هما يُصلّيان ، جاءَ أبو طالبٍ ورآهما ، فقال لرسولِ اللّه :

ـ يا بنَ أخي ، ما هذا الذي أراكَ تدينُ به ؟

فقال له محمد ﷺ :

ـ هذا دينُ اللّه ، وديـنُ ملائكتِـه ورسُـلِه ، وديـنُ أبينا إبراهيم ، بعثَنى اللّه به رسولاً إلى العباد ، وأنت أحقُّ من بذلتُ لـه النصيحة ، ودعوتُـه إلى الهدَى ، وأحقُّ من أجابنى إلى اللّه تعالى ، وأعاننى عليه .

فقال أبو طالب :

ـ إنى لا أستطيعُ أَن أُفارقَ دينَ آبـائى ومـا كـانوا عليه .

والتَفتَ إلى علىّ وقال له :

ـ وأَنت ؟

فقال علىّ :

ـ يا أبت ، آمنْـتُ باللّـهِ ورسولِه ، وصدَّقْـتُ مـا جاء به ، ودخلتُ معه ، واتّبعتُه .

فقال له أَبوه :

ـ أما إنّه لم يدْعُك إلاّ إلى خير ، فالزَمْه .

٤

قَدِمَ أَحدُ التُّجَّار للحَجّ ، وذهب إلى العبّاسِ عم رسولِ اللّه ، ليبتاعَ منه بعضَ السِّلَع ، وكان العبّاسُ صديقًا له ، وجلسَ الرجلُ يتحدثُ مع العبّاس ، وفيما هما يتحدثان ، إذا برجلٍ قامَ يُصلّى ؛ ثم جاءَ غلامٌ وقامَ يُصلّى إلى جَنبِه ؛ ثم جاءتِ امرأَةٌ وقامت خلفَهما ، ثم ركعَ الرَّجل ، فركع الغلامُ وركعتِ المرأَة ، ثم سجدَ الرجل ، فسجد الغلامُ وسجدتِ المرأة ، فالتفتَ التاجرُ إلى العبَاس وقال :

ــ ما هذا الدِّين ؟

فقال العباس :

ـ هذا دينُ محمدِ بنِ عبدِ اللّه أخي ، يزعُمُ أنَّ اللّهَ بعثَه رسولاً ، وهذا ابنُ أخي عليُّ بنُ أَبي طالب ، وهذه امرأتُه خَدِيجة .

٥

سَرَى هَمْسٌ في مكة ، بأنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللّه ، يزعُمُ أَنّه نبيّ ، ويدعو سرًّا إلى عبادةِ إلهٍ واحد ، وجاءت جاريةٌ لحكيم بن حِزَام ، وهو قريبٌ لخديجة، وكان عندَه أَبو بكر ، فقالت :

ـ إن عمَّتك خديجة تزعُمُ أنَّ زوجَها نبيٌّ مُرسَل ، مثلُ موسى .

سمِع أبو بكر هذا القول ، ففكّر فيه ، إنه يعرفُ محمَّدا ، ويَعْرف أنّه أمينٌ صادق ، فذهب إليه ،

وقال له :

ـ يا أبا القاسم ، ما الّذى بلغنى عنك ؟

فقال له محمد :

ـ وما بلغكَ عنّى يا أبا بكر ؟

قال له أبو بكر :

ـ بلغنى أنّك تدعو لتوحيد اللّه ، وزعمتَ أنّك رسولُ اللّه .

فقال له محمد : « نعم يا أبا بكر ، إنَّ ربى عزَّ وجلّ ، جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوةَ إبراهيم ، وأَرسلنى إلى النّاس جميعا » .

فقال له أَبو بكر :

ـ واللّه ما جرَّبتُ عليكَ كَذِبا ، وإنك لخليقٌ (تستحق) بالرِّسالة ، لِعظَمِ أمانتِك ، وصلتِك

لِرحِمك ، وحُسنِ فِعالك . مُدَّ يدَك ، فأنا أبايعُك .

فمدَّ رسولُ اللّه يدَه ، وصافحـه أبـو بكـر ، وهـو يُعلنُ إسلامَه .

وبلغ خديجةَ إسلامُ أبى بكر ، فسرَّها ذلك ، حتـى إنها خرجتْ إليه وقالت :

ـ الحمدُ للّه الذى هداكَ يا أَبا بكر .

٦

كان سعدُ بن أبى وقّاص عمَّ آمنةَ بنتِ وهب ، أمِّ محمد ؛ دخل سعدٌ فى فِراشه ذاتَ ليلةٍ ونام ، فـرأَى فى نومه أَنه يسير فـى الظّـلام ، لا يـرى شـيئا ، وإذا بالقمرِ يظهرُ فى السَّماء ، فيُبدِّد الظّـلام ؛ ونظـر إلى القمر ، فرأَى أَبا بكرٍ وعلىَّ بنَ أبى طالب وزيـدَ بـنَ

حارثة ، مولَى الرَّسول ، يُطِلّونَ من القمر ، ويُشيرون إليه ليلحَق بهم ، فقال لهم :

ـ متى انتهيتُمْ إلى هنا ؟

فقالوا له :

ـ السّاعة .

وقام سعدٌ من نومِه ، واعتدلَ فى فِراشِه ، وحاول أن يُفسِّر حُلْمَه ، فلم يستَطع . وفى الصّباح جاء أبو بكرٍ إلى سعد ، وقال له :

ـ نزل على محمَّدٍ وحيٌ منَ السَّماء ، أَخْبَرَه أَنه نبيُّ هذه الأمَّة ، وأَمره أَن يدعُوَ إلى عبادةِ اللّه وحدَه . فقال له سعد :

ـ أَكَفَرَ باللاّتِ والعُزّى ؟

فقال له أَبو بكر :

ـــ إنه يدعو إلى التحررِ المطلَق من عبادةِ هذه الأصنام، إنه لا يبغى من وراءِ ذلك جاها ولا مالا، فإن له من أَموالِ خَديجةَ ما يُغنيه عن ذلك، وله من نسبه فى قريش، مكانَ الذّروةِ والسِّنام، على أن دعوتَه هى التحرُّرُ المطلقُ من عُبوديةِ هذه الأحجار الصماء، إلى عبادةِ خالقِ السَّماء الصافية والصحْراء المُترامية، والنجوم الّلامعة، والشَّمسِ السّاطعةَ، والماء والرِّياض، والهواء والغِياض (ماء يجتمع فينبُت فيه الشَّجر) . وإنَّ هذه الدعوةَ التى لا تُفرِّق بين السادةِ والعبيد أمامَ اللّه إلا بقدر العقيدةِ والعمل، والّتى تُخْلى الطريقَ بين العبدِ وربِّه، يدخلُ إليه بغير واسِطة، ويتقرَّبُ إليه بغيرِ زُلفَى، وتدعو إلى التراحُمِ والتّوادِّ والبرِّ والتّقوَى، وتنفِر من الوأْد (دفنِ البناتِ حيّات) والقطيعةِ

والتّراشق- هىَ هناءةُ الدنيا ، وسعادةُ الأبد .

تفتّح قلبُ سعدٍ لقولِ أبى بكر ، فقال له :

- ومنِ اتّبعه على دينه هذا ؟

فقال أبو بكر :

- أنا ، وعلىٌّ بن أبى طالب ، وزيدُ بن حارِثة .

وتذكَّر سعدٌ الْحُلمِ الّذى رآه : تذكّرَ عليًّا وأبا بكرٍ وزيدَ بن حارثة ، فى القمرِ يدعونَه أَن يَلْحقَ بهم ، فتيقّنَ أنَّ اللّه أرادَ له الهِداية ، فقال لأبى بكر :

- وأينَ رسولُ اللّه ؟

فقال له أبو بكر : « فى شِعْبِ أَجياد (مكانٍ فى خارج مكّة) يعبد اللّه مُستخفِيا » .

فذهبا إليه ، ليشهد سعدٌ أنْ لا إلـه إلاّ اللّـه ، وأَنَّ محمدا رسولُ اللّه .

٧

كان أبو بكرٍ عظيمًا فـي قريـش ، علـى سَعةٍ مـن المال ؛ وكان كريـمَ الأخـلاق ، يُحبُّه قومُـه ، فـراح يدعو أصحابَه إلى هذا الدينِ الجديد ، فكـانوا يُلبُّون دعوتَه .

وفي سكون اللّيل خرج يتلّفت ، حتـى إذا وصـلَ إلى بيتِ أُميّةَ بنِ خَلَف ، وكـان مـن سـادةِ قريـش هتَف :

ـ بلال ... بلال .

فهبط إليه بلال ، وهـو عبـدٌ أَسـود ، كـان مولَـ أُميّة ، وقال :

ـ من ؟ أبو بكر ؟! ما جاء بكَ السّاعة ؟

فقال له أبو بكر :

ـ نبأٌ هامّ .

فقال بِلاَل :

ـ وما هذا النبأ ؟

ـ ظَهَرَ نبىٌّ هذهِ الأمة .

ـ ومن هو ؟

ـ محمدُ بنُ عبدِ اللّه .

وظلَّ أبو بكرٍ يُحدِّث بِلالا ، حتى آمنَ وشهدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه .

وراح صحابةُ محمدٍ يجتمعون به فى الْجِبال ، يسمعونَ القرآن ، ويتعلّمون دينَهم الجديد ، بعيدًا عن أعينِ أهلِ مكة ، فما أمرَ اللّه بعدُ رسولَه أن يجهَرَ بِدَعوتِه ، (أى يُعْلِنَها) .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الاضطهاد

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين ، واخْفِض جَنَاحَك لمن اتّبَعك من المؤمِنين ، فإن عَصوْك فَقُلْ إنِّى بَرىءٌ مَمَّا تَعْمَلُون . وَتوَكَّل عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيم ، الّذى يَرَاكَ حِينَ تَقوم ، وَتَقلُّبكَ فِي السّاجِدِين ، إنَّه هُو السَّمِيعُ العَلِيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عَلِمتْ قريشٌ أن محمَّدًا يزعُمُ أنَّه نبيّ ، يأتيه الخبرُ من السَّماء ، وأنه يدعو إلى عبادةِ إلـهٍ واحد ، وأنّه يسُبُّ آلهتَهم ؛ فراحوا يتجسَّسون عليه وعلى من اتَّبَعه . وفى يوم خرج سعدُ بنُ أبى وقّاص مُستخفِيا ، لينضمَّ إلى من أسلموا ، وليُصلّيَ معهم ، فسار خلفَه رجلٌ من قريش ، وسعد لا يراه ، حتّى إذا وصلَ سعدٌ إلى المكان الّذى به محمدٌ وأصحابُه ، عاد الرَّجُل إلى قريش ، يُخبرُهم بمكان المسلمين .

قام محمدٌ ﷺ يُصلّى بأتباعِه ، وفى ذلك الوقتِ جاء أبو جهل وبعضُ النّاس ، ووقفوا خَلفَ شجرةٍ ينظرون إلى المصلّين .

ولما انتهت الصَّلاة ، ذهب سعدٌ لقضاء حاجة ،

فرأى أبا جهل ومن معه ، فقال له أبو جهل :

ـ ماذا تفعلونَ هنا ؟

وراح أبو جهل يَعيبُ صلاةَ المسلمين ، وضحِك زملاؤه ، فغضِب سعد ، وتناول عظْمَ بعير ، فضرب به وجهَ رجلٍ من المُشْركين ؛ وأصيب سعد فى أذنِه ، فعاد إلى حيثُ كان محمدٌ وصحْبه ، فضَمَد له رسولُ اللّه ﷺ جُرحَه بيده ، وقال له : فى سبيل اللّه دمُك يا سعد .

٢

وجاء جبريلُ إلى محمّدٍ بأمرِ اللّه ، يأمُره أن يدعُوَ النّاسَ جَهْرا ، امتثالا لأمر اللّه تعالى : « وأنـذِرْ عشيرَتك الأقرَبين . واخفِضْ جناحَكَ لمن اتّبَعك من المؤمنين ، فإن عصَوْكَ فقُلْ إنّى برىءٌ مما تعملون ، وتوكّل على العزيزِ الرّحيم ، الذى يراكَ حين تقوم ، وتقلُّبكَ فى السّاجدين ، إنه هو السميعُ العليم » .

فخرج محمدٌ ﷺ ، ينفّذ ما أمرَه اللّه به فصعدَ على الصَّفا ، ثم نادى :

ـ يا صباحاه !

فاجتمعَ النّاس إليه ، فقال لهم :

ـ يا معشرَ قريش ، أرأيتُم لو أخبرتكُم أنَّ خيْلا بسفحِ هذا الجبلِ تريدُ أن تُغيرَ عليكم ، أتُصَدِّقوننى؟

قالوا :

ـ نعم .

ـ فإنى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شَديد . يا بَنى مَخزوم ، يا بنى أسد ، إن اللّه قد أمرنى أن أنذِرَ عشيرَتِىَ الأقربين ، وإنى لا أملِكُ لكم من الدُّنيا منفعة ، ولا من الآخرةِ نصيبا ، إلا أن تقولوا : لا إله إلا اللّه .

فقال له أبو لهب :

ـ تبًّا لكِ سائرَ اليوم ، أما دَعَوْتَنا إلاَّ لهذا ؟

فأوحى اللّه إلى رسوله : « تَبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ وتبّ ، ما أغنى عنه مالُه وما كسَب ، سيصلى نارًا ذاتَ لَهَب ، وامرأتُه حمّالَةَ الحطب ، فى جيدِها حبلٌ من مَسدَ » .

فانسحب أبو لهب ، وانسحبتْ امرأتُهُ أمُّ جميل ، فانسحب الناسُ خلفَهم ، وبقِىَ محمدٌ على الصَّفا وحدَه .

٣

حَزِن رسولُ اللّه ﷺ لما أعرضَ النّاسُ عنه ، وأمر عليًّا أن يُجهِّزَ طعاما ، وأن يدعوَ أكابر قريش إليه ، ففعل عليّ ؛ فدعا أبا طالب ، وحمزة ، والعبّاس ، وأبا لهب ، وأناسًا آخرين ، وقدَّم لهم الطَّعام ، فلما شبعوا ، قال رسولُ اللّه ﷺ : « يا بني عبد المُطَّلب ، إنّي واللّه ما أعلمُ شابًا من العرب جاءَ قومَه بأفضلَ مَمّا جئتُكم به ، إني قد جئتكم بخيرِ الدُّنيا والآخرة . وقد أمرني اللّه أن أدعوَكم إليه ، فأيُّكُم يؤازرُني على هذا الأمر ، على أن يَكون أخي ووصيّي ، وخليفتي فيكم » !

فصمتَ القوم ، وقام عليّ ، وكان أصغَرهم ، وقال :

ـ أنا يا نبيّ اللّه ، أكونُ وزيرَك عليه .

فأخذ النبى برقَبةِ علىّ ، وقال :

ـ إن هذا أخى ، ووصيِّى ، وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب :

ـ قد أمرك أن تسمعَ لابنِك وتُطيع .

٤

راح محمَّدٌ وأصحابُه يعبُدونَ اللّه مُسْتَخْفِينَ في دارِ الأرقم ، وهي دارٌ قريبةٌ من الصَّفا ، وفي ذاتِ يوم قابل أبو جهل محمَّدا ، فراح يُسبُّه ويَعيبُ دينَه ، ومحمدٌ صامتٌ لا يردُّ عليه ، ورأى رجلٌ ذلك ، فتعجَّب من حِلم محمَّدٍ وسَعَةِ صدرِه ، ولَمحَ ذلك الرَّجلُ حمزةَ بن عبدِ المطَّلب قادمًا من الصَّيد ، وكان حمزةُ عمُّ النَّبي ، شُجاعًا قويّا ، فذهب إليه الرَّجلُ وقالَ له :

ـ لو رأيتَ ما فعلَ أبو جهلِ بابنِ أخيك ؛ سبَّه ، وعاب دينَه ، ونالَ منه .

فغضِب حمزة ، وذهبَ إلى الكعبةَ ، فرأى أبا جهلِ جالسا بينَ قومه ، فرفعَ حمزةُ قوسَهُ ، فضرب أبا

جهل بها ، فسالت دماؤه ، فقام رجالٌ من أنصارِ أبى جهل لينصروه ، وقالوا لحمزة :

ـ ما نراك يا حمزةُ إلا دخلتَ فى دينِ ابن أخيك ؟

فقال حمزة :

ـ ومن يمنعُنى وقد استبانَ لى منه ما أشهدُ أنّه رسولُ اللّه ، وأن الّذى يقولُ حقّ ، فواللّه لن أتركَ دينه ، فامنعونى إن كنتُمْ صادقين .

وسار حمزةُ والرِّجال ينظرون إليه ، دُون أن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا ؛ كان قويا شجاعا .

وذهبَ إلى محمَّد ليُعلنَ إسلامه ، فلما قابله قال له :

ـ أشهد أنك الصادقُ شهادةَ الصِّدق ، فأظهر يابن أخى دينَك ، فواللّه ما أحبُّ أن لى ما أظلتْه السَّماء ، وأنّى على دينىَ الأول .

وفرِح محمد ، لأن اللّه أعزَّ الإِسلام ، بإسلامِ عمِّه حمزة .

٥

راح محمدٌ ﷺ ، يسُبُّ آلهةَ قُريش ، فغضب القُرَشِيّون ، ولكنّهم رأَوْا أنَّ عمَّه أبا طالب يعطفُ عليه ، فقرّروا أن يذهبوا إلى أبي طالب يكلّمونَه في أمرِ ابنِ أخيه ، فمشى رجالٌ من أشرافِ قُريش إلى أبي طالب ، منهم : عُتبةُ بنُ ربيعة ، وشيْبةُ بن ربيعة ، وأبو جهلِ بن هِشام ، والعاص بنُ وائل ، وأرسلوا إليه رجُلا قال له :

ـ هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وسرَاتُهم (أشرافُهُم) يستأذنونَ عليك .

فقال له أبو طالب :

ـ أدخِلْهم .

فلما دخلوا عليه قالوا :

ـ يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيِّدُنا ، فأنصِفْنا من ابنِ أخيك ، فمرْهُ فليكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا ، وندعَه وإلَهه .

فأرسلَ أبو طالبٍ إلى النّبىَ ﷺ ، فلما دخل عليه، قال له :

ـ يا بنَ أخى ، هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وقد سألوكَ أن تكُفَّ عن شتمِ آلهتِهم ، ويَدَعُوك وإلهك .

فقال محمدٌ ﷺ :

ـ أى عمّ ، أوَلا أدعوهم إلى ما هو خيرٌ هم منها ؟

قال أبو طالب :

ـ وإلى أىّ شىء تدعوهم ؟

ـ أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين هم بها العرب ، ويملكونَ بها العَجم .

فقال أبو جهل :

ـ ما هى وأبيك ، لنعطِينّكها وعشرَ أمثالها .

قال رسول اللّه ﷺ :

- تقول : لا إله إلا اللّه .

فغَضبوا وقالوا :

- سَلنا غيرَ هذه .

وقال أبو طالب :

- فأَبقِ عليَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلني من الأمر ما لا أُطيق .

فظَنَّ رسولُ اللّه أنَّ عمَّه سَيترُكه لهم ، فقالَ له :

- يا عمّاه ، لو وضعوا الشَّمسَ في يميني ، والقمرَ في يساري ، على أن أترُك هذا الأمرَ حتى يُظْهِرَهُ اللّه أو أهلِكَ فيه ، ما تركتُه .

وبكى رسولُ اللّه ، ثم قام ، فلما ابتعدَ رَقَّ له قلبُ أبي طالب ، فناداهُ وقال له :

- أقبلْ يا بنَ أخي .

فجاء إليه رسولُ اللّه ﷺ ، فقال له أبو طالب :

- اذهبْ يا بنَ أخي ، فقُلْ ما أَحببت ، فواللّه لا أُسْلِمُك لشيء أبدا .

٦

رأى أَشرافُ قريش أنَّ أبا طالبٍ لنْ يُسْلِمَ ابنَ أخيه ، فأتَوا إليه ومعهم عُمارةُ بن الوَليد ، وكان أجملَ فتىً في قريش ، وقالوا لأبي طالب :

ـ يا أبا طالب ، هذا عُمارةُ بنُ الوليدِ أَجملُ فتىً في قُريش ، فخذْهُ واتّخِذْهُ ولدًا ، فهُو لَك ، وأَسلِمْ لنا ابنَ أخيك ، هذا الّذى خالفَ دينَك ودينَ آبائك لَنَقْتلَه ، فإنّمَا رجلٌ برجُل .

فقال أبو طالب :

ـ وللّه لبِئس ما تَسومونَني ، أتُعطونَني ابنَكم أغذوهُ لكم ، وأعطيكم ابني تقتُلونه ؟ هذا واللّه ما لا يكونُ أبدا .

٧

رأى ساداتُ قُريش أنَّ الدِّينَ الجديدَ بدأ ينتشر ، فَخَشُوا أن يؤَثِّر ذلك في مركزِهم ، فقامت كلُّ قبيلةٍ تعذِّب من أَسلمَ فيها ، فكان أميَّةُ بنُ خَلَف ، يأخذُ عبدَه بلالا ، ويَخرجُ به إلى الصحْراء ، ويضعُ الصخرةَ العظيمةَ على صدرِه ، ثم يقولُ له :

ـ لا والله ، لا تزالُ هكذا حتى تموتَ أو تكفُرَ بمحمَّد ، وتعبدَ اللّاتَ والعُزَّى .

فيقول بلال :

ـ أحد .. أحد .

ومرَّ أبو بكر به وهو يُعذَّب ، فاشتراهُ من سيِّده ، وأطلقَه لوجه الله .

وكانت بنو مخزوم ، (وهى قبيلةٌ من قبائِل مكة) يَخْرجون بعمَّارِ بن ياسر ، وبأبيهِ وأمِّهِ فى الحرِّ

الشَّديد ، ويُعذّبونهم ولكنّهم كانوا يأبَوْنَ أن يتركوا الإِسلام .

ومرَّ بهم رسولُ اللّه ﷺ ، وهم يتلوَّوْن من الألم ، فقال لهم :

ـ صبرا آل ياسِر ، موعدُكم الجنة .

فصبروا على العذاب ، حتّى إنَّ أبا جهل ضايَقه صبرُهم ، فطعنَ سُمَيَّةَ أمَّ عَمار بحرْبة فقتلها .

وراح ساداتُ قُريش يضرِبون المُسلمين ويجيعونَهم ويُعطِّشونهم ، ليكفُروا باللّه ، وليعبُدوا الأصنام ، ولكنَّ المسلمين ثبتوا للتعذيبِ والاضطهاد ، فما كانوا ليعودوا إلى الظَّلام ، بعد أن هداهُمُ اللّه إلى النُّور .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الهجرة إلى الحبشة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واذكُرْ فى الكِتابِ مَريَمَ إذِ انْتَبَذَتْ من أهْلِها مكانًا شَرقِيّا . فاتّخَذَتْ من دونِهم حِجابا ، فَأرْسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتَمَثّلَ لها بَشرًا سَويّا . قالتْ إنّى أعُوذُ بالرَّحمن مِنكَ إن كُنتَ تَقِيّا . قال : إنّما أنا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًا زكيّا . قالت : أنّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يَمسَسْنِى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيّا . قال : كذَلِكِ قال ربُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّن ، ولِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ ورَحْمَةً مِنّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيّا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

اجتَمَعَ الوَلِيـدُ بـنُ المُغِيرة ، ونَفَـرٌ مـن قُريـش ، وراحُوا يتَحدَّثُونَ عن محمَّد ؛ إنَّ الناسَ سـيقدَمونَ من البـلادِ للحَـجِّ عمَّـا قليـل ، وسـيَعرِضُ عليهم محمدٌ دِينَه .

قال الوليد :

ـــ إنَّ وفُـودَ العـربِ سَـتَقْدَمُ عليكُـم فـى الموسم ،وقد سمِعُوا بـأمرِ صـاحِبكم ، فـأجمِعُوا فيـه رأيًا واحِدا ، ولا تختَلِفوا ، فيُكَذِّبَ بعضُكم بعضا .

قالوا :

ـ يا أبا عبدِ شمْس ، فقُلْ ماذا نقول .

فقال لهم :

ـ بل أنتم فقولوا وأنا أسمع .

ـ نقولُ كاهِن .

فقال الوليد :

ـ ما هو بِكاهِن ، فما هو بِسَجْعِ الكُهَّان .

ـ نقولُ مجنون .

ـ ما هو بِمجنون ، ولقدْ رأينا الجنونَ وعَرَفناه .

ـ نقولُ شاعِر .

فقال الوليد :

ـ ما هو بشاعر ، فقدْ عَرَفنا الشِّعر ، فما هو بالشِّعر .

ـ فنقول ساحر .

ـ ما هو بساحِرٍ ، قد رأينا السُّحَّارَ وسِحرَهم .

ـ فماذا نقولُ يا أبا عبدِ شمس ؟

ـ واللّه إنَّ لِقَولِه لَحلاوَة ، فما أنتم قائِلونَ من هذا شيئًا إلاَّ عُرِفَ أنَّه باطِل .

٢

راحَتْ كلُّ قَبيلَةٍ في قُريش تُعذّبُ من أسلَمَ فيها ، واشتدَّ اضطِهادُ المسلمين ، حتى إنَّ عثمانَ بنَ عفّان ، وزَوجتَه رُقَيَّةَ بنتَ رسولِ اللّه ، والزُّبَيرَ بنَ العَوَّام ، فكَّرُوا في الخُروجِ من مكة ، فِرارًا بدِينِهم ؛ فلمَّا عَرَضُوا الأمرَ على رسولِ اللّه ، قال لهم :

- لو خرجتُم إلى أرضِ الحَبشة ، فإنَّ بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عندَه أحد ، وهى أرضُ صِدْق ، حتى يجعلَ اللّه لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

وخَرَجَ المهاجِرونَ فى سكونِ الليل على حين غَفلةٍ من قُريش ، وذهبوا إلى البحر ، ورَكبوا مَركَبًا ذهبَ بهم إلى الحبشة ، وعَلِمَت قريش بخروج المسلمينَ فغَضِبَت ، وجَدَّ المشرِكُونَ فى إثْرِهم يطلُبُونَهم ، ولكنّهم لم يَجِدُوهم ؛ كانوا قد ركِبوا البحر ، ولجئُوا إلى ملِكٍ لا يُظلَمُ عنده أحد .

٣

بَلَغَ قُرَيشًا أنَّ المسلمينَ قد ذهَبُوا إلى النَّجاشِيِّ ملكِ الحبشةِ ، وأنهم يعيشونَ عنده فى أمان ، فرأَوا أن يُرسِلُوا إلى النَّجاشِيِّ هَدِيَّة ، وأن يطلُبُوا مِنه أن يُعِيدَ هؤلاءِ الذين خرجوا من دينِهم ودين آبائِهم ، إلى بلادِهم ، فجَمَعُوا هَدِيَّةً عظيمة ، وأرسَلُوا بها عَمْروَ بن العاصِ وعُمارَة بن الوليد .

دخلَ عمرو وعُمارة على النَّجاشِيّ ، فسجدا له ، وقَدَّما إليه الهديةَ ، فقَبِلها ، وأمَرَ أن يَجْلِسا

إلى جِوارِه ، وأقبَلَ عليهما يُحادثُهما ، فقال عَمْرو بنُ العاص ، وكانَ قصِيرًا داهِية :

ـ إنَّ ناسًا من أرضِنا رغِبُوا عن دينِنا ، وهم فى أرْضِك .

قال النجاشىّ :

ـ فى أرضى ؟

قال عَمْرو :

ـ نعم .

فقال النجاشىّ :

ـ وماذا تُريدونَ منهم ؟

فقال عمرو :

ـ ادفَعْهم إلينا .

ـ لا ، حتى أسمعَ كلامَهم .

وأرسَلَ إلى المسلمينَ فجاءُوا ، فقالَ لهم :

ـ ما يقولُ هؤلاء ؟

فقالَ له المسلمون :

ـ هؤلاء قومٌ يعبُدونَ الأوثـان ، وإنَّ اللّـه بَعـثَ إلينا رسُولا ، فآمَنّا به وصَدَّقناه .

فالتفتَ النجاشيُّ إلى عَمْرو ، وقال :

ـ أَعبيدٌ هم لكم ؟

قال عَمْرو : « لا » .

فقال النجاشيّ :

ـ فَلَكم عليهم دَين ؟

فقال عَمْرو : « لا » .

فأَمَرَ النجاشـيُّ المسـلمينَ أن ينصرِفُوا بسـلام ، وخرجَ عَمْرو وعُمارَةُ من عنـده ، وهمـا مُطْرِقـانِ يفكّرانِ فيما يفعلان .

٤

ضايقَ عَمْرًا ألاّ ينجَحَ فى رَدِّ المسلمينَ إلى مكّة ، فراحَ يُفكِّر ، حتى اهتدَى إلى فِكرة ، فدخلَ على النجاشىّ ، وأسَرَّ له فى أُذنِه كلاما ، فأرسَلَ النجاشىُّ يطلبُ المسلمين ، فلما جاءُوا ، وهَمُّوا بالدُّخول عليه ، قال جعفرُ بن أبى طالب لهم :

ـ لا يتكلّم منكم أحد ، أنا خَطِيبُكم اليوم .

ودخلُوا على النجاشىّ ، وهو جالِسٌ فى

مجلِسِه ، وعَمْرو بن العاص عن يمينه ، وعُمَارةَ عن يسارِه ، والقِسِّيسُونَ جُلوسٌ عندَه ، فسلّموا عليه ، ولم يسجُدُوا له ، فقال له عَمْرو وعُمارة :

ـ إنهم لا يسجُدونَ لك .

فصاحَ فيهم القِسِّيسُونَ والرُّهبان :

ـ اسجُدُوا للملِك .

فقالَ جعفر :

ـ لا نسجُدُ إلاّ للّهِ عَزَّ وجَلّ .

ولَّما وصلَ جعفرٌ إلى النجاشيّ ، قال له :

ـ ما منعكَ أن تسجُد ؟

قال جعفرٌ في ثبات :

ـ لا نسجُدُ إلا للّه .

فقال له النجاشيّ :

ـ وما ذاك ؟ .

فقال جعفر :

ـ إنَّ اللّه بعثَ فينا رسُولا ، فأَمَرَنا أن نعبُدَ اللّه ولا نُشرِكَ به شيئا ، ونُقِيمَ الصلاةَ ، نُؤْتى الزكاة ، وأمَرَنا بالمعرُوف ، ونهانا عن المُنكَر .

فقال عَمْرو بن العاص :

ـ أصلَحَ اللّه المَلك ، إنهم يُخالِفونك فى عيسى ابنِ مريم .

فقال النجاشيّ لجعفر :

ـ ما يقولُ صاحِبُكم فى ابنِ مريم ؟

قال جعفر :

ـ يقول فيه قولَ اللّه : هو رُوحُ اللّه وكلمتُه ، أخرجه من العذراءِ البَتُولِ التى لم يَقْرَبْها بَشرَ .

فتناوَلَ النجاشىُّ عُودًا من الأَرضِ فرفَعَه ، ثم قال :

ـ يا معشرَ القِسِّيسِينَ والرُّهبان ، ما يزيدُ هؤلاء على ما نقولُ فى ابنِ مَريم ، ولا وزْنَ هذِه . مَرحبًا بكم وبمن جئتُم من عِندِه ، هل معكَ شىءٌ مما جاءَ به ؟ .

فأَشرَقَ وجه جعفَر وقال :

ـ نعم .

فقال له النجاشىّ :

ـ هلُمَّ ، فاتْلُ علىّ مما جاءَ به .

فراح جعفرٌ يقرأ :

﴿ ... واذْكرُ فى الكتابِ مريمَ إذِ انْتَبَذَتْ من أهلِها مكانًا شرقِيّا . فاتَّخذَتْ من دُونِهم حِجابا فأرسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتَمَثَّلَ لها بشَرًا سَوِيّا . قالت إنِّى أعُوذُ بالرَّحمن منكَ إن كنتَ تَقِيّا . قال : إنَّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهَبَ لكِ غُلامًا زكيّا . قالت : أنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يمسَسْنِى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيّا . قال : كذلكِ قالَ ربُّكِ هو على هيِّن ، ولنجعلَه آيةً للناس ورحمةً مِنّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيّا ﴾ .

فقال النجاشىّ : إنَّ هذا الكلامَ ليخرُجُ من المِشكاةِ التى جاءَ بها موسى ، انطلِقُوا راشِدِين .

وخَرجَ المسلِمونَ مسرورين ، وخَرجَ عَمْرو بن العاص حزينا ، وزادَ فى حُزنِه أنَّ النّجاشىَّ أمَرَ بردِّ الهدِيَّةِ التى أرسَلَتها إليه قُرَيش .

وعادَ عَمْرو بن العاص إلى مكة يجرُّ ذيولَ الخَيْبة !

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

أيام الشدة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه . ما أنْزَلْنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشْقَى . إلاَّ تَذْكِرَةً
لِمَنْ يَخشَى . تنزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرضَ والسَّموات
العُلى . الرَّحمنُ على العَرْشِ استَوى . له ما في
السَّمواتِ وما في الأَرضِ وما بينهما وما تحتَ
الثَّرَى ﴾ .

(قرآن كريم)

١

خرجَ عُمَرُ بن الخَطّابِ يومًا وهو يحمِلُ سَيفَه ، وسارَ وفي وجهِه عزْم ، فقابلَه رجُل ، وقال له :

ـ أين تُريدُ يا عُمَر ؟

قال عمرُ في غضب :

ـ أُريدُ محمَّدًا هذا الصَّابِىء ؛ الذى فَرَّقَ أمرَ قُريش ، وعابَ دينَها ، وسَبَّ آلِهَتَها ، فَأَقْتُلُه .

قال له الرجل :

ـ واللّه قد غرَّتْكَ نفسك يا عُمَر ، أترَى بنى عبدِ منافٍ تاركيكَ تمشى على الأَرض وقد قتلتَ محمَّدا ، أفلا ترجِعُ إلى أهلِ بيتِك ، فتُقِيمَ أمرَهم ؟

فقال عُمَرُ فى دَهَش :

ـ أىُّ أهل بيتى ؟

ـ أختُكَ فاطمة ، وابنُ عمِّكَ سعيدٌ زوجُها ، فقد والله أسلَما ، وتابَعا محمَّدًا على دينِه .

فرجَعَ عُمَرُ غاضِبًا إلى اختِه فاطِمةَ وزوجِها ، وكان عندَهما رجلٌ مسلم ، معه صحِيفةٌ فيها سورةُ طهَ يُقْرِئُهُما إيَّاها ، فلمَّا سمِعُوا حِسَّ عمر ، اختبأَ الرَّجُل ، وأخَذَتْ فاطمةُ الصَّحيفةَ ، فَجعلتْها تحت فخِذِها ، وسمِعَ عمرُ حين اقتربَ قراءَةَ القرآن ، فدخلَ على أخته ، وقال :

ـ ما هذه الهَيَنمةُ التى سمِعت ؟

قالت له أُخته وزوجُها سعيد :

ـ سمِعتَ شيئا ؟

قال :

ـ والله لقد أُخبِرْتُ أنَّكما تابعتُما محمَّدًا على دينه .

وضربَ سعيدًا زَوجَ أُختِه ، فقامت أختُه تمنعُ عن زوجِها ، فضربَها فسال دمُها ، فقالت له :

ـ نعمْ ؛ قدْ أسلَمنا وآمنَّا باللّـه ورسولِه ، فاصنَع ما بَدا لك .

نَدِمَ عمرُ على ما صَنَعَ بأخته ، وقال لها :

ـ أعطِينى هذه الصحيفةَ التى كنتم تقرءُون ، أَنظُرُ ما هذا الذى جاءَ به محمد ؟

قالت له أختُه :

ـ إنّا نخشاكَ عليها .

ـ لا تخافِى .

وحلَفَ لها بآلهتِه ليُردَّنَّها إليها إذا قرأَها ، فطَمِعَتْ أختُه فى إسلامِه ، فقالت له :

ـ يا أخى إنَّك نَجِسٌ على شِركِكَ ، وإنَّه لا يَمَسُّه إلاَّ المُطَهَّرُون .

فقام عُمَر فاغتسلَ ، فأعطَتْه الصَّحيفةَ وفيها سورةُ طه ، فقرأها ، وقال :

ـ ما أحْسنَ هذا الكلامَ وأكرَمَه !

فلـمَّا سمِعَ الرجلُ الـذى اختَبـأ ذلـك ، خـرجَ مسرورا ، وقال لعمر :

ـ واللّه يا عمـر ، إنـى لأرجُـو أن يكـونَ اللّـه قـد خَصَّـكَ بدعـوةِ نبيِّـه ﷺ ، فإنّى سمِعتُـه أمـس وهـو يقول : اللهم أيِّدِ الإسلامَ بأبى الحَكَـم بـنِ هشـام ، أو بعمرَ بن الخطاب ، فاللّهَ اللّهَ يا عُمَر .

فقال له عمر :

ـ فدلَّنى على محمَّد ، حتى آتِيَه فأُسلِم .

وذهبَ عُمَر يُعلِنُ إسلامَه .

٢

غاظَ قُريشًا دخولُ النّاسِ فى الدين الجديد ، فاتّفقَ ساداتُ قُريشٍ على قتلِ محمدٍ ﷺ ، فلمَّا رأى أبو طالبٍ ذلك ، جمعَ بنى عبدِ المطَّلِب ، وأمَرَهم أن يُدخِلوا رسولَ اللّه فى حِصنِهم ، وأن يمنَعُوه ممن أرادُوا قتلَه ، فدخلَ المُسلمون مع محمد ، ودخلَتْ خديجةُ معه . فلمَّا عرَفتْ قريشٌ أن بنى عبدِ المطَّلب قَرَّروا حمايةَ محمَّد ، والدِّفاعَ عنه ، اجتمعَ المشركونَ من قُريش ، واتّفقُوا ألاَّ يُجالِسُوا مَن نَصرَ محمَّدا ، ولا يُبايعوهم ، ولا يتزوَّجُونَ منهم ، وكتبوا بذلك عهدًا علَّقوه فى جوفِ الكعبة .

وضَيَّق المشركونَ الحِصار على المسلمين ، فنَفِدَ ما كانَ عندَهم ، وخوَت بطونُهم ، وبكى صغارُهم

يطلبونَ الطعام . ومرَّت على المسلِمين ثلاثُ سنواتٍ عِجاف . وفى ذاتِ يوم دخَلَ النبيُّ على عمِّه أبى طالب ، وقال له : إن اللّهَ قد سلَّطَ الأَرَضَةَ على الصَّحيفةِ التى كتبَتْها قُريش ، وعَلَّقتْها فى الكعبة ، فأكلتها ، ولم تدَعْ فيها إلا اسمَ اللّه ، فقال له أبو طالب :

ـ أربُّكَ أخبَرَك بهذا ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ نعم .

فقال أبو طالب :

ـ فَلِمَ نُحْبَس ؟

وخرجَ أبو طالبٍ إلى أشرافِ قُريش ، وقال لهم : إن اللّهَ سلَّط الأرضة على الصَّحيفةِ الظالِمةِ فلَحِستْها ؛ فذهبَ ساداتُ قُريشِ إلى جوفِ الكعبة ، فوجدُوا الأرَضَةَ قد أكلَتِ الصَّحِيفةَ ومزَّقتها ، فرُفِعَ الحِصارُ عن المسلمين .

٣

لم تحتملْ خَديجةُ الاضطهادَ الذى لاقَته مع زوجها والمسلمينَ ثلاثَ سنين ؛ حاصَرَتهم قُريشٌ حتى جوَّعَتهم ، وعذبتهم ، ولم تكن خديجةُ تألَفُ مثلَ ذلك العذاب ، فلما عادت إلى دارِها مرضتْ ، فلَزِمَها محمَّدٌ ﷺ ، ولم يُفارِقها لحظة ، إنها آمَنت به لَمَّا كذَّبه الناس ، وشجَّعته لمَّا لم يجد من يُشجِّعه ، وواسته لمَّا اضطهَدَه الكفار ؛ كانت له نِعمَ الزوجَة ونِعمَ المُعِين .

ومضى على مرضِها ثلاثةُ أيام ، وإذا بها تموتُ بين يديه ، فحزِنَ عليها حُزنًا شديدا ؛ كان يُحِبُّها حبًّا صادِقا ، فآلمه فَقدُها ، وأحسَّ عِظَم الفجيعة فيها .

٤

كان هذا العامُ عامَ الأحزان ؛ ماتت خديجة ، واشتكى أبو طالب فيه ، ولمَّا رأى أشرافُ قُريشٍ شِدَّةَ مرضِ أبى طالب ، قالوا :

ـ إنَّ حمزةَ وعُمَرَ قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمَّد فى قبائِلِ قُريشٍ كلِّها ، فانطلِقوا بنا إلى أبى طالب .

فذهبوا إليه ، وقالوا له :

ـ يا أبا طالِب ، إنَّك مِنَّا حيثُ قد عَلِمتَ ، وقد حَضَرَك ما ترى ، وتَخَوَّفنا عليك ، وقد عَلِمتَ الذى بيننا وبينَ ابن أخيك ، فادعُه ، فخُذْ لنا منه ، وخُذْ له منَّا ، ليكُفَّ عنا ، ولنكُفَّ عنه ، ولِيَدَعنا ودينَنا ، ولِنَدَعه ودينه .

فأرسَل إليه أبو طالبٍ ، فجاء ، فقال له :

ـــ يـا بـنَ أخِـي ، هـؤلاء أشـــرافُ قومِـك ، قـد اجتمعُوا إليك ليُعطُوكَ وليأْخُذوا منك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ يا عـمِّ ، كلمـةً واحِـدةً تُعطُونَها ، تملِكُونَ بها العرب ، وتدينُ لكم بها العجم .

فقال أبو جهل :

ـ نَعمْ وأبيكَ ، وعشرَ كلمات .

قال :

ـ تقولون : لا إله إلاّ اللّه ، وتخلَعُونَ ما تعبُدون من دُونِه .

فقال بعضُهم لبعض :

ـــ إنَّه واللّـه مـا هـذا الرَّجُـلُ بمعطِيكُـم شيئا ممـــا تُريدون ، فانطلِقوا وامضُوا على دينِ آبائِكم ، حتـى يحكُمَ اللّه بينكم وبينه .

ثم تركوه وتفرَّقوا ، فقال له أبو طالب :

ـ واللّه يا بنَ أخي ، ما رأَيتُكَ سألْتَهم شَطَطا .

فطَمِع رسولَ اللّه فى أن يُسلِمَ عمُّه ، فقال له :

ـ أىْ عمّ ، فَأنتَ فقُلْها .

فقال أبو طالبٍ فى صلَف :

ـ يابنَ أخِى ، واللّه لولا مخافَةُ أن تظُنَّ قُرَيشٌ أنّى إنّما قُلْتُها جزَعًا من المَوت ، لَقُلْتُها .

وماتَ أبو طالب ، فحَزِنَ عليه محمَّدٌ ﷺ ، فقَدْ فَقَدَ الذى كان يمنعُ عنه أذى قريش ، بعدَ أن فَقَدَ الزَّوجةَ الرَّءُوم ، التى كان يجدُ عندَها الرَّاحة والأمن .

٥

ماتَ أبو طالب ، فاشتدَّتْ أذِيَّةُ قُريش لرسولِ اللّه ، ففكّر فى أن يخرُجَ من مكّةَ إلى الطّائِف ، يلتمِسُ من أهلِها أن ينصُرُوه ، ويمنعُوا عنه أذِيَّةَ قومِه ، ورجا أن يدخُلُوا فى الإسلام ، فلمَّا بَلَغَها ذهَبَ إلى ثلاثةِ إخوة ، كانوا سادَةَ ثقيف ، وهى القَبيلةُ التى تنزِلُ الطّائِف ، وجَلَسَ إليهم ، وأخَذَ يدعُوهُم إلى الإسلام ، فقال له أحَدُهم مستهزِئا :

ـ أما وَجَدَ اللّه أحدًا يُرسِلُه غيرَك ؟!

وأخَذُوا يسخَرُونَ منه ، فقامَ من عِندِهم ، وقدْ يئس منهم ، فلم يترُكوه يعودُ من حيثُ جاء ، بل أمَرُوا عبيدَهم أن يَسُبُّوه ، وأن يَرْمُوه بالحِجارة ، فقعَدُوا له صَفين على طريقه ، فلمَّا مرَّ أخَذُوا يرمونَ رِجْلَيه بالحجارة ، لا يرفَعُ رِجْلَيهِ ولا يضَعُهما

إلاَّ رَمَوهُما بالحِجارَة ؛ فسالَ الدَّمُ من رِجلَيه ، وصبَرَ على الألَمِ الشَّديد ، حتى إذا ابتعَدَ عنهم وصَلَ إلى نخلةٍ ، جلسَ فى ظِلِّها يستريح ، ورفعَ عينيه إلى السَّماء وراح يدعو :

ـ « اللَّهمَّ إليكَ أشكُو ضعفَ قُوَّتِى ، وقِلَّةَ حيلَتى ، وهوانِى على النَّاس ، يا أرحمَ الرَّاحِمين ، أنتَ ربُّ المُستَضعَفِين ، وأنتَ ربِّى ، إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى بَعيدٍ يتجهَّمُنى أم إلى عَدُوٍّ ملَّكتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك غَضبٌ علىَّ فلا أُبالِى ، ولكنَّ عافِيَتك هى أوسَعُ لى ، أعوذ بنورِ وجهِكَ الذى أشرَقَتْ له الظُّلمات ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخِرة ، من أن تُنْزِلَ بى غَضَبَكَ أو يَحِلَّ علىَّ سَخَطُك ، لك العُتْبَى حتى تَرضَى ، لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بك » .

ورأى رجُلانِ ما حَلَّ به ، فَرَقَّا له ، فَدَعَوا غُلاما نَصرانِيًّا يقال له عَدَّاس ، وقالا له :

ـ خذْ قِطْفا من هذا العِنَب ، فضَعْه فى هذا الطَّبق ، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرَّجُل ، فقل له يأكُلْ منه .

أخَذَ عَدَّاسٌ قِطْفًا من العنب ، وذهَبَ إليه ، ووضَعَ أمامَه الطَّبَق ، فمدَّ رسولُ اللّه يده ، وهو يقول :

ـ باسمِ اللّه .

فنظرَ إليه عَدَّاسٌ ، وقال :

ـ واللّه إنَّ هذا الكَلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد .

فقال رسول اللّه :

ـ ومن أهلِ أىِّ بلادٍ أنتَ يا عَدَّاس ؟ وما دينُك ؟

ـ نصرَانِىّ ، وأنا رجُلٌ من أهلِ نِينَوَى .

فقال رسول اللّه ﷺ :

ـ من قريةِ الرجُلِ الصالح يونُسَ بن مَتّى .

فقال عَدَّاسٌ فى دَهَش :

ـ ما يُدْرِيكَ ما يونُسُ بنُ مَتّى ؟

ـ ذلكَ أخي ، كان نَبِيًّا وأنا نبيّ .

فأكَبَّ عَدَّاسٌ على رسُولِ اللّه يُقَبِّـلُ رأسَه ويديه وقَدَمَيه .

وانصَرَفَ رسولُ اللّه إلى مكّةَ وهو صابِر ، يحتَمِلُ الأذى دونَ ضَجَر . كان يعلمُ أنَّ بعدَ الشِّدَّةِ الفَرَج ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسرًا .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الهجرة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّه إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الغَار ، إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللّه مَعَنَا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أخَذَ رسولُ اللّه ﷺ يَمُرُّ على قَبائِلِ العَرَبِ يدعوهُم إلى الإسلام .

قال لإحدَى القبائِل :

ـ إنّي رسولُ اللّهِ إلَيكُم ، آمُرُكمْ أن تَعْبُدُوا اللّه ، ولا تُشْرِكُوا به شيئا .

فَصَاحَ أَبُو لَهَب ، وكان رجُلا أحْوَلَ له غَدِيرَتان :

ـ إنَّه كاذب ، لا تُصَدِّقُوه .

فسارَ رسولُ اللّه حتى بَلَغَ قبيلةً أخرَى ، وراح يقول :

ـ يا أيُّها الناس ، قولوا لا إله إلاّ اللّه تُفْلِحُوا .

فراحَ أبو لَهَبٍ يُلقِي عليه التُّراب ، ويقول :

ـــ لا تُصَدِّقُوه ، فإنَّمـا يُريـدُ أن تـتركُوا عبـادةَ آلهتِكم .

واستمرَّ رسُولُ اللّه ﷺ يمرُّ على القبائل ، يعـرِضُ عليهم الإسلام ، وأنْ يمنعُوا عنه القتـلَ ، حتى يُبَلِّـغ رِسالاتِ ربِّه ، ولكنَّ القبائِلُ أعرضُوا عنه وقالوا :

ـ لو كان فيه خَيرٌ ما تَرَكهُ قومُه .

٢

العربُ في يَثْرِبَ (المدينة) قبيلتـان : همـا الأَوسُ والخَزْرَج ؛ كانوا يَعْبُدُونَ الأَصنامَ ، وكـان جيرانُهم اليهودُ يعبُدونَ اللّه . وكـان اليهـودُ قِلّـة ، فكـان إذا شَبَّ بين العربِ واليهودِ قتال ، قال اليهودُ للعرَب :

ـــ إنَّ نَبيًّا الآنَ قد أظَـلَّ زمانـه ، نَتْبَعُـهُ وننتَصـرُ بـه عليكم .

كـان عـربُ يـثرِبَ يسـمَعُونَ ذلـك مـن اليهـود ، فَيعْلَمُونَ أنَّ اللّهَ سيُرسِلُ رسولاً لِهدايةِ الناس .

وحَدَثَ فى مُوسِمِ الحجّ ، أن خـرَجَ بعـضُ عـربِ يَثْرِبَ إلى مكّة ، فلمَّا قابَلهم رسولُ اللّه ، قال لهم :

ـ من أنتم ؟

قالوا :

ـ نَفَرٌ من الخَزْرَج .

قال :

ـ أمِنْ مَوالِى يَهُود ؟

قالوا :

ـ نعم .

قال :

ـ أفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمكم ؟

فَجَلَسُوا معه ، فَدَعاهُم إلى اللّه ، وعَرَض عليهم الإِسلام ، وتلا عليهمُ القرآن . فقال بعضُهم لِبَعض :

ـ يا قَوم ، تَعلَمُونَ واللّه أنّه النَّبِيُّ الذى تَوَعَّدَكم به اليهود ، فلا يَسْبِقُنْكم إليه .

وأسلَمُوا ؛ وواعَدُوه على اللِّقاء فى العام القادم .

٣

عادَ الرِّجالُ إلى يَثْرِبَ بعدَ أن قابَلُوا محمَّدًا ﷺ ، وأعلَنُوا إسلامَهم ، ودَعَوا أهْلَهُم إلى الإِسلامِ ، حتى فَشَا فيهم وانتَشرَ ، ولم تَبْقَ دارٌ من دُورِ العربِ فى يثرِب ؛ إلاّ وفيها ذِكْرُ رسولِ اللّه ﷺ ، ومَرَّ الزمَنُ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ ، فخَرجَ اثنا عَشَرَ رجُلاً

من أشْرافِهم إلى مكّة ، وقابَلُوا رسولَ اللّه ، وبايَعُوه على ألاّ يُشْرِكُوا باللّه شيئا ، ولا يَسْرِقُوا ، ولا يَزْنُوا ، ولا يَقْتُلُوا أولادَهم .

وانْصَرَفَ الرِّجالُ بعدَ الحَجِّ إلى يثرِب ، فأرسَلَ رسولُ اللّه معهم مُصْعَبَ بن عُمَير ، لِيُعَلِّمَهُم الإسلام ، وقِراءَةَ القرآن ، وأمْرَ دينِهم .

٤

ومرَّتْ سنةٌ ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ . فخَرَجَ المسلمون من يثرِبَ إلى مكةَ للحَجّ ، وواعَدُوا رسولَ اللّه أن يُقابِلُوه فى اللّيل ، إذا فَرَغَ الحجّ . فلمَّا هَدأتِ الرِّجْل ، خرج الرَّجُلُ والرَّجُلانِ إلى حيثُ واعَدُوا رسولَ اللّه ، حتّى أصبَحُوا سبعِينَ رجُلا . وجاءَهم

رسولُ اللّه ومعه عمُّه العبَّاس بنُ عبدِ المُطَّلِب ، فقال العباس :

ـ إنَّ محمَّدًا منّا حيثُ قد علِمتم ، فهو فى عِزَّةٍ فى قَوْمِه ، وإنَّه قدْ أَبَى إلاَّ الانْحِيازَ إليكم ، واللُّحُوقَ بكم ، فإنْ كنتُم تَرَونَ أنَّكم مانِعُوه مِمَّن خالَفَه ، فأنتم وما تحمَّلْتُم من ذلك . وإن كنتُم ترَونَ أنَّكم مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوه بعدَ الخُروجِ إليكم . فمِنَ الآنَ فَدَعُوه .

قالوا : قدْ سمِعنا ما قُلتَ فتكلَّم يا رسولَ اللّه ، فخُذْ لِنفسِك ولربِّك ما أحببت .

فقال رسولُ اللّه :

ـ أُبايِعُكم على أن تمنَعُونِى مما تمنَعونَ منه نساءَكم وأبناءَكم .

وبَسَطَ رسولُ اللّه يدَه ، وبايعَه الأنصارُ على أن يَمنَعُوه ويَحمُوه إذا هاجَرَ إليهم .

٥

وانتشرَ الإِسلامُ فى يثرِب . حين كان الاضطهادُ مستمِرًّا فى مكة ؛ كانت قُريشٌ تؤذى المسلمين ، فجمعَ رسولُ اللّه من آمَنوا به وصَدَّقُوه ، وقال لهم :

ـ إنَّ اللّه قدْ جعَلَ لكم إخوانا ، ودارًا تَأمَنونَ بها .

وأمَرَ أصحابَه بالخُروجِ إلى يثرِب ، فراحُوا يخرُجُونَ من بلادِهم ، فِرارًا بدينِهم . وانتظَرَ رسولُ اللّه إذْنَ اللّه له بالهجرة ؛ وجاءَ أبو بكرٍ يطلبُ منه الإِذنَ ليُهاجِر .

- لا تَعجَل ، لعلَّ اللّه يجعَل لك صاحِبا . هاجَرَ المسلمون ولم يبق إلا محمدٌ ﷺ ، وأبو بكر ، وعلىُّ ابنُ أبى طالب ، والمستَضْعَفُونَ الذين حبَسَهم سادتُهم عن الهجرة . وعَلِمَ ساداتُ قُريشٍ بهجرَة أصحابِ محمد ، فاغتاظُوا ، وخافوا أن يخرُجَ محمدٌ ﷺ وسلّم إلى أصحابِه ، حتى إذا قَوِىَ جاءَ يحاربهم ؛ لذلك قّرروا فيما بينهم أن يأخُذوا من كل قبيلةٍ فتى شابًّا ، ثم يُعطُوا كلَّ فتًى منهم سيفا ؛ ثم يذهبوا إليه ويضربوه بسيفهم ضَرْبَة رجُلٍ واحد ، فيقتلوه ، وبذلك يتفرَّقَ دمُه فى القبائل ؛ لأنّه إذا قتلَه رجل واحد ، قام بنو عبد مناف ، أهل محمد ، لحربِ قبيلة القاتل ، فقد كان من عادة العربِ أن يثأرُوا للمقتول ، من كلا القاتل وقبيلته .

واتفقوا على أن يقتُلوا رسولَ اللّه هذه اللّيلة ، ولكنَّ اللّه لم يترُكْ رسولَه ، فقد أرسَلَ إليه جِبرِيلَ يقولُ له :

ـ لا تَبِتْ هذه الليلة على فِراشِك الذى كنت تَبيتُ عليه .

وجاءَ الليلُ وجاءَ أبو جَهلٍ ومَن اتّفقَ معه على قَتْلِ رسولِ اللّه ، فلمّا أحسَّ رسولُ اللّه ﷺ بهم ، قال لعلِيّ :

ـ نم فى فِراشى ، فإنّه لن يَخلُصَ إليك شيءٌ تكرهُه منهم .

ونام علىٌّ فى فراش النبىّ ، وراحَ ساداتُ قُريشٍ ينظرون ، فيَرونَ عليًّا فى الفِراش ، فيحسبون أنَّ رسول اللّه نائم .

وفُتحَ الباب ، وخرجَ رسول اللّه ، وقد أعْمَى اللّه عنه أعداءَه ، فراحَ رسولُ اللّه يضعُ التُّرابَ على رءُوسِهم ، وانصرَفَ إلى بيتِ أبى بكر . وجاءَ رجلٌ ونظَرَ إلى الرِّجال الذين جاءُوا لقتلِ رسولِ اللّه ، وقال لهم :

ـ ما تنتظِرونَ ها هنا ؟

قالوا : محمَّدًا .

ـ خَيَّبكم اللّه ! قد واللّه خرَجَ محمد ، ثم ما تركَ منكم رجُلا إلا وقد وضعَ على رأسِه ترابا ، وذهبَ لحاجتِه ، أفَما ترونَ ما بكم ؟

فوضَعَ كلُّ رجلٍ منهم يدَه على رأسِه ، فإذا عليه تُراب ، ونظرُوا فرأَوا عليًّا فى الفِراش ، فقالوا :

ـ واللّه إن هذا لمحمَّدٌ نائما .

وظَلُّوا حتى أصبَحَ الصباح ، فخرج إليهم علىّ ، فاغتاظُوا ، وذهبُوا يبحَثُونَ عن رسُولِ اللّه .

٦

خرجَ رسولُ اللّه ﷺ ، ومعه أبو بكرٍ الصِّدِّيق مهاجِرَينِ إلى يثرِب ؛ وقَبْلَ أن يخرُجا أمَرَ أبو بكرٍ ابنَه عبدَ اللّه أن يتَسمَّعَ لهما ما يقولُ النّاسُ فيهما نهارا ، ثم يأتِيهما إذا أمسىَ بما يكون من الناس فى ذلك اليومِ من الخَبَر ، وأمر خادِمَه أن يرعَى غَنَمَه نهارا ، حتى إذا جاءَ اللّيلُ تركها عندَ غارٍ بجبلِ ثَور بأسفلَ مكة .

وذهب النّبِىُّ ﷺ ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيق إلى غارِ ثور ، واختبآ به ؛ فإذا جاءَ الليل ، أتَى إليهما عبدُ

اللّـه بنُ أبـى بكـر ، يُخبرِهُمـا بمـا فَعَـل النـاسُ بعـدَ اختِفائهمـا . وكـانَ أبـو بكـرٍ يخرُجُ إلى الغَنَـم التـى تركها خادمُه ؛ يحلِبُهـا ويسـقِى الرَّسُولَ لَبَنَهـا ، ثـم يشربُ منها .

راحتْ قُريشٌ تبحَثُ عن النَّبىِّ وصاحِبِه ، واقْتَفَـوا أثَرَه : رأَوا آثارَ أقدام ، فسارُوا فى اتّجاهِهـا ، حتـى إذا بلَغُوا الغـار ، رأَوا علـى بابِـه نَسـجَ العنكبـوت ، فقالوا :

ـ لو دخَلَ ها هنـا أحـدٌ لم يكـن نَسـج العَنكبـوت على بابه .

وسمِعَ أبو بكر صوتَ الناس ، فقال هامسا :

ـ هؤلاء قومُك يطلبونَك .

فقال له النّبىُّ ﷺ : يا أبا بكـرٍ لا تخف ؛ إنَّ اللّـه معنا .

ومَرَّت ثلاثـةُ أيَّام ، ورسـولُ اللّه وأبـو بكر فى الغار ، فلمَّا هَدَأ بحثُ النّاس عنهمـا ، ركِـبَ رسـولُ اللّه ناقة ، وركِــبَ أبـو بكـرٍ ناقـة ، وركـب الدَّليـلُ الذى استأجَراهُ ليذهَبَ بهما فى طريقٍ غيرِ معروف ، ناقة ، وساروا إلى يثرب .

٧

أعلَنَ أشرافُ قُرَيشٍ عن مكافَـأةٍ لمن يَقتُـل محمَّـدًا أو يأسِرُه ؛ وطمـع سُـراقَةُ بـنُ مـالِكٍ فـى المُكافَـأة ، فرَكِـبَ فَرَسَـه ، وأخَـذَ رُمْحَــه ، وراحَ يجـرى فـى الطَّريق الذى سارَ فيه محمدٌ وأبو بكرٍ والدَّليل ، حتى إذا اقـتَرَبَ منهـم سـقَطَ عـن فَرَسِـه ؛ فقـامَ وركِبَهـا

وجَرَى خلفَهم ، ولكنْ غاصَتْ يدا فَرسِه في الرِّمال حتى الرُّكبتين ، فَسَقَطَ عنها ، ثم عادَ إليها ، وركبها وجرى خلفَهم ، فسقط عنها ، فنادَى بالأمان ، وقَدْ وقَعَ في نفسِه أن سيظْهَرُ أمرُ رسولِ اللّه ، ودنا من رسولِ اللّه ، وقال له :

ـ اكتُبْ لي كتاب أمان .

فأمَرَ الدَّليلَ أن يكتبَ ، وعادَ سُراقَة إلى مكة ، وكان كلّما قابَلَ أحدًا يطلُب رسولَ اللّه ردَّه عنه . وسارَ رَسولُ اللّه ﷺ إلى يثرِب ، لينشرَ دينَ اللّه ، ويمكِّنُ له في الأرض .

﴿ يُرِيدونَ أن يُطفِئوا نُورَ اللّه بأفواهِهِم ، ويأبَى اللّه إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ .

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص الديني

غزوة بدر

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُم اللّه بِبَدْرٍ وأنُتمْ أذِلَّة ، فاتَّقُوا اللّـهَ لَعَلَّكم تَشْكُرُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

بلَغَ أهلَ يثربَ (المدينة) أنَّ رسولَ اللّه قدْ خَـرَجَ من مكـة ، فكـانوا إذا صَلُّـوا الصُّبـحَ يَخرُجُـونَ إلى ظاهِرِ المَدينة ، وينتظِرُونَ قُدومَ محمَّدٍ ﷺ ، حتـى إذا اشـتَدَّ الحرُّ عـادُوا إلى بِيُوتهـم وقَـدْ عَزَمُـوا علـى أن يخرُجُوا لاستِقْبالِه في اليومِ التّالى .

وفى أحَدِ الأيام خـرجَ الرِّجـال ، وسـارُوا مسـافَةً طويلة ، ليقابِلُوا رسـولَ اللّـه ﷺ ، ولكـنَّ الشَّـمس اشتدَّت ، ولم يظْهَرْ رسولُ اللّه ، فعادُوا إلى بيوتِهم ؛ وإذا بصوتٍ يصيح :

ـ هذا رسولُ اللّهِ قد جاء .

ـ فخـرجَ النـاسُ مسـرِعينَ لاسـتقْبالِه ، وراحُـوا

يصيحُونَ فى فرح :

ـ جاءَ نبىٌّ اللّه ، جاءَ نبىٌّ اللّه .

وسارَ النبىُّ وأبو بكر بين الناس ، والتفَّتِ الجُموعُ حولَه ، يُسَلِّمُون عليه ، وصَعِدَت النِّساءُ فوقَ سُطُوحِ البُيوت ، ويَقُلْن :

ـ أيُّهم هُو ؟

ـ أيُّهم هُو ؟

وارْتَفَعَتِ الأَصواتُ مُجَلْجِلةً فى المدينة :

ـ اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر ! جاءَ محمَّد . اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر ! جاء محمَّد .

وأخذَ الصِّبيانُ والنِّساءُ يقلْن :

طلَعَ البَدْرُ علينا　　من ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكرُ علينا　　ما دَعا للّه داعِ
أيُّها المَبْعُوثُ فِينَا　　جِئْتَ بالأمْرِ المُطَاعِ

ودخلَ محمَّدٌ ﷺ يثرب ، وعُرِفَتْ منذُ ذلكَ اليوم بمَدِينةِ الرَّسول .

٢

نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ المدينة ، فالتفَّ حولَه المُهاجِرُونَ والأنصار ، فآخَى بينَهم ؛ كان يُؤاخِي بينَ واحِدٍ من المُهاجِرينَ وواحِدٍ من الأنصار ، فالرَّجُلُ الذى هاجَرَ فى سبيلِ اللّه تركَ مالَه فى مكَّة ، وليسَ له مكانٌ يبيتُ فيه . فكان على رجالِ المدينة أن يُؤوُوا مهاجِرى مكة ، وأن يُعاونوهم على العَيش ، حتَّى يستقِرُّوا فى المدينة ، ويَجِدُوا لهم عملا .

وكانَ مُهاجِرُو مكةَ قدِ اعتادُوا جَفافَ جَوِّها ، فلما عاشُوا فى المَدِينةِ مَرِضُوا ، وقَدْ مَرِضَ بلالٌ وأبو بكرٍ ، فدخَلَت عليهما عائِشةُ بنتُ أبى بكرٍ

تعودُهما ، فقالت لهما :

ـ يا أبتِ كيفَ تَجدُك ، ويا بلالُ كيف تَجدُك ؟

فذكرَ لها أبو بكرٍ وبلالٌ أنهما يَحِنّان إلى مكة ؛ كانت مكة وطَنَهم ، فكانوا يُحِبُّونَها ؛ على الرَّغم من أنَّ أهلَ مكة اضطهدوهم وعَذَّبُوهم ، وأنَّ أهلَ المَدِينة استقبَلُوهم استقبالا حَسَنا ، فما كان الوطنُ يهُونُ على أهْلِه ؛ فَذَهَبَتْ عائشةُ إلى النَّبيّ ، وكانتْ قَدْ تَزَوَّجَتْه ، وقالت له : إنَّ أبا بكرٍ وبلالا يَحِنّانِ إلى مكة . فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللّهُمَّ حبِّبْ إلينا المدِينة ، كحُبِّنا مكة أو أشدّ .

٣

كانَ المُسلِمُونَ يَجتَمِعُونَ فى المَسجدِ قبل ميعادِ الصَّلاة ، لأنهم كانوا يخافُونَ أن تَفوتَهم ، وكانوا

يأْتونَ منْ أنفسِهم ، فما كانَ هناكَ ما يدعوهم إلى الصَّلاة ، فرأى رسولُ اللّه أن يجعَلَ بُوقًا كَبُوقِ اليهودِ الذى يدعُونَ به لصلاتِهم ، ولكنّه كرِه ذلك ، ورأى أن يدعُوَ الناسَ إلى الصَّلاةِ بالنّاقُوس ، كما يفعَلُ النّصارَى ؛ وأمَرَ بالنّاقُوسِ فنَحِتَ ، لِيُضرَبَ به للمسلِمينَ للصَّلاة ، وبينَما رسولُ اللّه فى المسجِد ؛ جاءَه رجُلٌ وقال له :

ـ يا رَسُولَ اللّه ، رأيتُ فى المَنام ، رجُلاً عليه ثوبَانِ أخضَران ؛ يحمِلُ ناقُوسًا فى يدِه . قلت : « يا عبدَ اللّهِ أتَبيعُ هذا النّاقوس ؟ فقال : « وما تَصْنَعُ به » ؟ قلت : « ندعُو به إلى الصَّلاة » . قال : « ألا أدُلُّكَ على خير من ذلك » ؟ قلت : « وما هو » ؟ قال : « تقول : اللّه أكبَر . اللّه أكبَر ، اللّه أكبر . أشهَدُ أن لا إلَه إلا اللّه ، أشهدُ

أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه . حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الصَّلاة . حيَّ على الفَلاح ، حيَّ على الفَلاح . اللّه أكبَر ، اللّه أكبَر . لا إلَه إلاّ اللّه » .

فقالَ رسولُ اللّه :

ـ إنَّها رُؤيا حقٌّ إن شاءَ اللّه ، فقُمْ مع بِلالٍ فأَلْقِها عليه ، فيؤذِّنْ بها ، فإنَّه أنْدَى صَوتًا مِنك .

أذَّنَ بلال ، فجاءَ النَّاسُ من كلِّ ناحية ؛ وسَمِعَه عُمَرُ بن الخطَّاب وهو فى بيتِه ، فخرَجَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وهو يَجُرُّ رِداءَهُ ويقول :

ـ يا نبيَّ اللّه والذى بَعَثَك بالحقِّ ، لقدْ رأيتُ مثلَ الذى رأى .

فقال رسولُ اللّه ﷺ : « فلِلَّهِ الحَمْد » .

٤

سمِعَ رسُولُ اللّه أنَّ أبا سُفيانَ مقبِلٌ من الشَّامِ فى تِجارَةٍ لِقُرَيش ، ولّما كانت قُريش قد آذَتْهُ هو وأصحابَه واضطرَّتهُم إلى الخُروجِ من مكة ، بعدَ أن تَركُوا بها أموالَهم وبُيُوتَهم . قال محمَّدٌ ﷺ لأصحابه .

ـ هذه عِيرُ قُريش ، فيها أموالُهم ، فاخرُجُوا إليها .

فخرجَ بعَضُ الأنصارِ والُمهاجِرين ، ليستَولَوا على القافِلة ، التى كان على رأسِها أبو سفيان ، حتى يستَعِيضُوا عن أموالِ المسلمينَ التى تركُوها مضطَرِّين فى مكة . وكان أبو سُفيانِ يخشَى أن يَغْزُوَه محمد ، فكانَ يتجَسسّ ويسألُ الناس عن محمَّد . قال له قائل : إنَّ محمَّدًا ﷺ قد خرَجَ يغزُو

قافِلَته ، فأرسَلَ أبو سُفيانَ إلى مكة رسُولا ، يُخبرُهم أنَّ أموالَهم فى خَطَر ؛ فلمَّا وَصَلَ الرَّجُلُ إلى مكة ، قال :

ـ يا مَعْشَرَ قُريش ، أموالكم مع أبى سفيان ، قدْ عَرَضَ لها محمدٌ فى أصحابه ، لا أرى أن تدرِكوها .

فخرجَ الرِّجالُ يحمِلونَ رماحَهم وأسيافَهم ، لِيُدافِعُوا عن أموالِهم ، ولم يتَخلَّفْ من أشرافِ قُرَيش إلا أبو لَهَب بن عبدِ المطَّلب ، وسار الرِّجال ، وكانوا تِسعَمائةٍ وخمسِينَ مُقاتِلا ، معهم مائتا فَرَسٍ يقودونَها ، ومعهم المُغَنِّياتُ يضرِبْنَ بالدُّفُوف ، واستمرُّوا فى سيرِهم ، ليُنقِذُوا تِجارَتَهم .

وخَرَجَ رسولُ اللّه من المدينة ومعه رايَتانِ سوداوان ، إحداهما مع عليٍّ بن أبى طالِب ،

والأخْرَى مع بعضِ الأنصار ، ولم يكن مـع المسـلمينَ إلاّ فَرَسان : فرسٌ للزُّبيرِ بنِ العوَّام ، وفرسٌ للمِقْـداد بنِ الأسْوَد . وسبعُونَ بَعِيرا ، وكـان كـلُّ ثلاثـةٍ مـن الرِّجالِ على بعِير .

وبلغَ رســولَ اللّـه أنَّ قُريشـا قـد خرجُوا ليمنعُوا عِيرَهم ؛ ولما لم يكن خارِجا للقِتال ، بل كان خارِجًـا لِيسْتَولىَ على قافِلةِ قريشٍ التى يقودُهـا أبـو سُـفيان ، استشارَ النّاس ما يفعل ؟ فقام رجلٌ وقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، امضِ لِما أراكَ اللّه ، فَنحنُ معك ، واللّـهِ لا نَقُولُ لـك كمـا قـال بنـو إسـرائيلَ لموســى : اذهـبْ أنـتَ وربُّـكَ فقـاتِلا إنّـا هنـا قـاعدون ، ولكــنْ اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا ، إنا معَكما مقاتلون .

كان هذا الرَّجُلُ من المهاجِرين ، ولكنَّ رسولَ اللّه كان يُرِيدُ أن يَسْمَعَ رأىَ الأنصارِ ، فقال :

- أشِيرُوا عليَّ أيُّها النَّاس .

فقال سعدُ بنُ مُعاذ ، وكان من ساداتِ الأنصار :

- واللّه لَكأنَّكَ تُريدُنا يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه : « أجَلْ » .

فقال سعد :

- لقد آمَنَّا بكَ وصدَّقناك ، وشهِدنا أنَّ ما جِئْتَ به هو الحق ، وأعطَيناكَ عُهُودَنا ومواثيقَنا على السَّمعِ والطَّاعِة لك ، فامضِ يا رسولَ اللّه لِما أرَدْت ، فنحنُ معك .

٥

نزلَ النبيُّ وأصحابُه عندَ ماء بدْر ، وبَنَوا حَوضًا مُلِيءَ ماءً ، ونَظَرَ النبيُّ فرأى قُوَّاتِ قريش ، فَنَظَرَ إلى

السَّماء وقال :

ـ اللّهُمَّ هذه قُرَيشٌ قد أقبَلَتْ بخيلائِها وفَخْرِها تُحادُّكَ (أى تعاديك) ، وتُكَذّب رسولَك ، اللَّهمَّ فَنصْرَكَ الذى وَعَدْتَنِى .

وراح النبىُّ يدعوُ اللّه :

ـ اللّهمَّ إنّك إن تَهلِك هذه العِصابَةَ لا تُعْبَدْ فى الأرض ، اللّهمَّ أَنْجزْ لى ما وعَدْتَنِى ، اللّهم نصرَك .

وتَواجَه المسلِمونَ وقُرِيش ، وأقسَمَ رجلٌ من قريش :

ـ أُعاهِدُ اللّهَ لأشْرَبَنَّ من حَوضِهم ، أو لأهْدِمَنَّه ، أو لأمُوتَنَّ دُونَه .

فلمَّا خرج وسار نحوَ الحَوضِ الذى بناهُ المسلمون ، خرجَ إليه حمْزَةُ بنُ عبدِ المُطّلب ، وضربَه بسيفِه ، فقطَع ساقَه ، ثم قتلَه عندَ الحَوض ، وعندَ

ذلك خرجَ ثلاثةٌ من أشرافِ قريش ، وطلَبُوا من يُبارِزُهم .

صاحوا :

ـ يا محمَّد ، أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قَومِنا .

فقال النبيُّ ﷺ :

ـ قُم يا عُبَيدةُ بنَ الحارِث ، وقم يا حمزة وقم يا عليّ .

وبدأتِ المُبارَزة ، فقَتَلَ حمزةُ من كان يُبارِزُه ، ولم يُمْهِل عليٌّ الرجلَ الذى كان يُبارِزُه فقَتَلَه ، وانتصرَ عُبيدةُ على مَن كان يُبارزُه وقتلَه ، قتلَ ثلاثةٌ من المسلمين ثلاثةً من ساداتِ قريش » .

وبدأ أصحابُ محمدٍ ورجالُ قريشٍ يتراشقونَ بالنِّبال ، ثمَّ قال محمَّدٌ ﷺ لأصحابِه :

ـ والذى نَفسُ محمدٍ بيدِه ، لايُقاتِلُهم اليومَ رجلٌ ، فيُقتَلَ صابِرًا محتَسِبًا مُقبِلا غيرَ مُدبِر ، إلاّ أدخَلَهُ اللّه الجنّة .

وبَدأتِ المَعرَكة ، فمشىَ الرِّجالُ إلى الرِّجال ، وارتَفَعَتِ السُّيوفُ وتضارَبَت ، وقُتِلَ أبو جَهلٍ فى المَعركة ، وراحَ أبطالُ المسلِمينَ يُعمِلونَ سيُوفَهم فى المشرِكين ، فكانت الرُّءوسُ تطيرُ عن الأجسام ، ورأى أهلُ مكة ساداتِهم قد قُتِلوا ، فَفَرّوا ، وتَبِعَهُم المسلِمُون ، فوقَع منهم فى الأَسرِ ناسٌ كثيرون ، ووقعَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ أسيرا ، ورآهُ بلال ، فَتَذَكَّرَ ما كان يفعَله به فى مكة ، كان يُخرِجُه فى الصَّحراء ، ويضَعُ عليه الصخرةَ الضَّخمة ، لِيَكفُرَ بمحمَّدٍ وإِله محمد . فصاح بلال :

ـ رأسُ الكُفرِ أُميَّةُ بنُ خَلَف ، لا نَجوْتُ إن نَجا .

وهجم عليه ، وضرَبَه بالسَّيف ، فكانَ آخِرَ من قُتِل من أشرافِ قريشٍ فى معركة بدر .

وألقَى المسلمونَ قتلَى قريشٍ فى القَلِيب ، وهو بئرُ بدر ، فوقَفَ رسولُ اللّه ﷺ عليهم وقال :

ـ يا أهلَ القَلِيب . هل وجَدْتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حقًّا ، فإنّى قدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِى ربِّى حقّا .

فقال المسلمون : « يا رسولَ اللّه ، أتنادِى قومًا ماتُوا ؟ » .

فقال : ما أنتم بِأسْمَعَ لما أقُولُ منهم .

وانتهت غزوةُ بدرٍ بنصرِ المسلمين ، وكانت هذه الغَزْوةُ ضَرَبةً لقريش ، ونصرًا مُعظَّمًا لمحمَّد ، فكم من فِئةٍ قليلةٍ هزَمَتْ فئةً كثيرةً بإذن اللّهِ ، وقَدْ قالَ اللّه لأَهلِ بدرٍ فى القرآن : ﴿ ولقَدْ نصرَكم اللّه ببَدْرٍ ، وأنتم أذِلّة ، فاتّقُوا اللّه لعلّكم تشكُرون ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة أحد ﷺ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُم ، وَيَعْلَمَ الصَّابرِين * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتَصَرَ محمدٌ ﷺ علَى قُرَيشٍ فى بَدر ، وقَتَلَ أشرَافَهَا ، فاجْتَمَعَ أَبْنَاءُ الّذينَ قُتِلُوا من قُريش ، وذَهَبُوا إلَى أَبِى سُفيانَ وساداتِ القومْ ، وقالوا :

ـ يا مَعْشَرَ قُريش ، إنَّ محمدًا قَتَلَ خِيارَكُم فأَعِينُونَا علَى حَرْبِه .

واتَّفَقَتْ قُريشٌ على أَن تخرُجَ لحرْبِ رسول اللّه ، لِيثأَرَ النَّاسُ لآبَائِهم وأَبنائِهم وإخْوتِهم الذين قُتِلُوا فى بدرٍ . ودَعَا رَجُلٌ غُلامًا حَبَشِيًّا له ، يُقَالُ لَهُ « وَحْشِىّ » ، كانَ ماهِرًا فى قَذْفِ الحَربة ، قَلَّمَا يُخْطِيءُ بها ، وقالَ له :

ـ أُخرُجْ معَ النَّاس ، فإنْ أَنتَ قَتَلْتَ حمزة ، عمَّ محمَّد ، بِعَمِّى الّذى قتَلَه ، فأَنْتَ عَتِيق .

وَخَرَجَتْ قُرَيشٌ فى عُدَّتِها ، وكان أبو سُفيانَ قائدَ النَّاس ، وخَرَجتْ معه زَوجَتُه هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بن رَبيعة ، تُحَرِّضُ النَّاسَ على قِتالِ مُحَمَّد ، لأَنَّ أَباهَا عُتْبَة ، وأَخاها الوَليد ، قُتِلاَ فى بدر ؛ قَتَلَهُما عَلِيٌّ وحَمزَة .

٢

بلغَ النَّبىَّ ﷺ ، أنَّ قُرَيشًا خَرَجَتْ لقتالِه وَأَنَّها نَزَلَتْ عِنْدَ أُحُد ، فجمَعَ أَصحابَه ، وقال لهم :

ـ إِنْ رأَيْتُمْ أَن تُقِيمُوا بالمَدِينة ، وتَدعُوهُم حَيثُ نزَلُوا فإنْ أَقَامُوا أَقامُوا بِشَرِّ مُقام ، وإنْ هُم دَخَلُوا علينا قَاتَلْنَاهُم .

كان رأْيُ النَّبىِّ أن ينتَظِرَ أعدَاءَهُ خلْفَ أَسْوَارِ المدينة ، وأن يَرمُوهم بالحِجارة ؛ وكان هذا هو الرَّأْىَ الصَّائب ، لأنَّ جَيْشَ قُرَيشٍ كان كبيرا ،

فكانت مُقابَلَتُه مُجازَفة ؛ ولَو أَنَّ النَّبيَّ وأَصحابَه تحصَّنُوا بالمَدينة لكانَ من العَسِيرِ على جَيشٍ قُرَيشٍ أن يَدْخُلَها . ولَمْ يُعْجِبْ هذا الرأْيُ شَبابَ المُسلِمين ؛ كانوا يَرَونَ الخُروجَ لِقتَالِ الأَعداء فصَاحُوا :

ـ يا رسولَ اللّه ، اُخْرُجْ بِنا إلى أعدَائِنا ، لا يَرَونَ أَنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا .

وقال عبدُ اللّهِ بنُ أُبَيّ ، وكانَ سَيِّدَ أهلِ المَدينةِ قبلَ قُدُومِ النَّبيِّ ، حتَّى إنَّهم فَكَّرُوا قبلَ انتشَارِ الإِسلام أَنْ يُتوِّجُوهُ مِلِكًا عليهم :

ـ يا رَسولَ اللّه ، أَقِمْ بالمَدينة ، لا تَخْرُجْ إليهم ، فَواللّهِ ما خرجْنَا منها إلى عَدُوٍّ لَنا قَطّ إلاَّ أَصَابَ مِنَّا ، ولاَ دَخَلَها علَينَا إلاَّ أَصَبْنَا مِنْه ، فَدَعْهُمْ يارَسُولَ اللّه ، فإنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرٍّ مَحْبِس ، وإنْ دَخلُوا قَاتَلَهُم الرِّجالُ في وجْهِهِم ، ورَماهم النِّساءُ

والصبِّيانُ بالحِجارة من فوقِهم ، وإنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خائِبينَ كما جاءُوا .

وارتفعَتْ أَصواتُ الشَّبابِ تطْلُبُ الخُرُوج ، فإنَّهُ عارٌ أَنْ يَدْخُلَ أَعْدَاؤُهم عليهمُ المدينة : فدخلَ النَّبىُّ دارَه ، فلمَّا رَأَى ذلك بعضُ الرِّجالِ قالُوا :

ـ أَمَرَنا رسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بالمَدينة ، ولكِنَّا استَكْرَهْنَاهُ على الخُروج ، ولم يكنْ لَنَا ذَلِك .

وخَرَجَ النَّبىُّ وقَدْ لَبِسَ عُدَّةَ الحَرب ، فجاءَ النَّاسُ إليه وقالوا :

ـ يا رسولَ اللّه امْكُثْ كما أَمَرْتَنا .

فقال : « ما يَنبَغِى لِنَبِىٍّ إذا أَخَذَ لأمَةَ الحرب ، وأَذِنَ بالخروجِ إلى العَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حتَّى يُقاتِل ؛ وقَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى هذا الحديثِ فَأَبَيْتُمْ إلاَّ الخُروج ،

فَعَلَيكُمْ بِتَقْوَى اللّه ، والصَّبْرِ عِنْدَ البأس ، إذا لَقِيتُمُ العَدُوّ .

واجتمعَ جَيشُ المُسلِمينَ فى المَسْجد ، وكانَ عِدَّتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ ، وأَقْبَلَ النّبِيُّ يَسْتَعْرِضُ الرِّجال ، ثم دَفَعَ رايَةَ الحربِ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْر . وقادَ النَّبِيُّ الرِّجالَ خارِجَ المَدينة ، لِيُثْبِتَ المسلِمُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ أَعْلَى من أَصنامِ الكَعْبة .

٣

اغتاظَ عبدُ اللّهِ بنُ أُبَيّ ، لَمَّا لَمْ يَأْخُذِ النَّبِيُّ بنصِيحَتِه ، وعَمِلَ بمشَورَةِ الشَّباب ، فالتَفَتَ إلى مَنْ خَرَجَ مَعَهُ للقِتالِ مع النَّبيّ ، وقال :

ـ أَطاعَهُم وَعَصَانِى ، ما نَدْرِى علامَ نَقْتُل أَنْفُسَنَا ؟

ورَجَعَ بِمَن اتَّبَعَهُ من قوْمِه ، وكانوا ثُلُثَ الناس .

واستَمَرَّ رسولُ اللّهِ فى السَّيرِ بمَن بَقِىَ معه ، حتّى بَلَغَ جَبَلَ أُحُد ، فجعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إلى أُحُد ، وأَجْلَسَ جَيشًا من الرُّمَاةِ فوقَ جَبَلٍ آخر ، وأَمَرَهُم أَلاّ يَبْرَحُوا مكانَهم مهما حَدَثَ شَىءٌ إلاّ بِأَمْرِه ، وَأَلاّ يُفَارِقُوا مَكَانَهُم مَهما بَلَغَتِ الظُّروف .

وجعلَ يصُفُّ حَمَلَةَ السُّيوفِ ، بحيثُ كان كتِفُ كلٍّ منهم إلى كَتِفِ أخِيه ، لِيُقابِلُوا هُجُومَ قريشٍ كالبُنيانِ المرصُوص . كان جيشُه سبعَمائةِ مُقاتِل ، وكان جيشُ أبى سُفيانَ ثلاثةَ آلاف مقاتِل ، ولكنّه كان واثِقًا من أنَّ رُوحَ جيشِه أقوى من روح جيش أبى سُفيان ، فلو أطاعَ جيشُه أوامِرَه ، لأنزلَ الهزيمةَ بأعدائِه وأعداء الإسلام .

وظَهَرَ القُرشيُّونَ فى السَّهلِ المُنبَسِطِ أمامَ جَبَلِ

أُحُد ، وتَقَدَّمُوا حتى أصبَحُوا أمام جيشِ محمدٍ وجهًا لوجه ، وبدَأتِ المعركة ، وكانت تبدأُ بالمُبارزاتِ الفردِية .

خرجَ رجُلٌ من قُرَيش يطلبُ المُبارَزة ، فخرَجَ إليه حَمْزَةُ عمُّ رسولِ اللّه ، وهو من أبطالِ المسلِمين ، فضَرَبَ حمزةُ الرجُلَ بسيفِه فقَتَلَه ، فخرجَ ابنُ أبى طَلْحَةَ من صُفُوفِ قريش ، وهو بطل من أبطالِها ، وصاح : « يا أبا القاسِمِ مَن يُبارِز ؟ » .

فلم يخْرُجْ له أحد ، فصاحَ ثانية :

ـ يا أبا القاسِمِ ، مَن يُبارِز ؟

فلم يخْرُجْ له أحدٌ من المسلِمين ، فصاح :

ـ يا أصحابَ محمد ، زعَمتُم أنَّ قَتلاكُم فى الجَنَّة ، وأنَّ قَتلانا فى النار ، كذبتُم واللاَّت ، لو تَعلَمون ذلك حقًّا لَخرَجَ إلىَّ بعضُكم .

فخرجَ إليه عليُّ بنُ أبى طالِب ، وتبادَلا الضَّرَبات ، وأحَسَّ ابنُ طَلحَةَ بانْهِزامِه ، ففرَّ من وجه علىّ ، ولكنَّ عليًّا عاجَلَه بضرْبةٍ ، أطاحَتْ رأسَه .

وبَدأتِ المعرَكة ، فاندَفَعَ المسلِمُونَ من فوقِ الجبَل ، وهم يصيحُون :

ـ أمِتْ ... أمِتْ .

وراح المسلِمُونَ يقتُلُونَ الكفّار ، وكان خالِدُ بنُ الوَليدِ فى صفوف قريش ، وكان قائِدَ فُرسانِ المشركين ، فراحَ يُحاوِلُ أن يَلُفَّ بفُرسانِه حولَ جيشِ محمد ، ولكنَّ رُماةَ محمدٍ الذينَ كانوا فوق الجبل الآخر ، كانوا يُصَوِّبونَ سهامَهم إلى فُرسانِه ، فَيَرجِعُون .

وانسحَبَ العَدُوُّ مهزومًا ، ولم يتَنَبَّهِ المسلمونَ للقضاء عليه ، بل راحُوا يَجْمَعُونَ الغنائِم ؛ ورأى

الرُّماةُ ذلك ، فَحَسِبُوا أنَّ المعركةَ قد انتهَتْ فصاحُوا :

ـ الغَنِيمةَ ، الغَنِيمة .

فصاحَ قائِدُهم فيهم :

ـ عَهِدَ إلىَّ ﷺ ألاَّ تَبْرَحُوا .

فقال الرُّماة :

ـ انهَزمَ القَوم ، بدأ إخوانُنا فى جَمعِ الغَنائِم .

وتركُوا أماكِنَهم ، وعَصَوا أمْرَ رسولِ اللّه ، وذهَبُوا لِيَجمَعُوا الغنائِم ، فلما رأى خالدُ بنُ الوليدِ ذلك ، وكان قائِدًا ماهرًا ، أدارَ فُرسانَه ، وجاءَ من خلْفِ الرُّماة ، وأخَذُوا يُوَجِّهُونَ سِهامَهم إلى المسلمين ، بينَ أُحُدٍ وجبلِ الرُّماة ، وراحتْ الرِّماحُ تخترِق صدور المهاجِرينَ والأنصار ، كانت مفاجَأةً عنيفَةً بَدَّلَتِ المعركة ، فبَعدَ أن كان المسلمونَ

منتصِرين ، أصبَحُوا يُدافِعُونَ عن أنفُسِهِم دفاعَ اليائِسين .

ولَمَحَ وحشِيٌّ حمزة ، فَرَفَعَ حربَتَه وهزَّها ، ثم رَمَى بها حمزة ، فَسَقَطَ ودمُه يسِيل ، ثم فارَقَ الحياة ، وجاء وحشيٌّ فأخَذَ حَرْبَتَه ، وذهَبَ إلى هِند ، يُخبِرُها أنه قتَلَ حمزة ، الذى قتلَ أباها وأخاها يومَ بدر .

وجاءَت هنْدُ إلى جُثَّة حمزة ، وفَتَحتْ بَطنَه وجذَبَت كَبدَه ، وجعَلَتْ تَلُوكُها فى فَمِها ، لِتُطْفِىءَ نارَ الحِقدِ المتَوَقِّدَةِ فى جَوفِها ، وفى ذلك الوقت تفرَّقَ المسلمون عن النبىِّ ﷺ ، ولم يبْقَ معه إلاَّ علىٌّ وعُمَرُ وأبو بكر ، وبعضُ نفَرٍ من المسلِمينَ يدافِعُونَ عنه .

ولَمَحتْ أمُّ عُمارة ، وكانت امرأةً مسلِمةً تسقِي المُحارِبينَ الماءَ ، انهِزامَ النّاسِ عن النّبيِّ ﷺ ، فألْقَتْ بالقِرْبَةِ التى كانت تحمِلُها ، وتناوَلَتْ سَيفا ، وجاءَت إلى رَسُولِ اللّه ، تُدافِعُ عنه مع من ثَبتَ معه ؛ وجاءَ رجلٌ من قُريش يصيح :

ـ دُلُّونِى على محمد ، فلا نَجَوتُ إن نَجا .

فاعْتَرَضَته أمُّ عُمارة ، فَضَرَبَها بسيفِه فجُرِحت ، ولكنّها ضرَبَتَه ضَربتَين ، فَفَرَّ من أمامِها .

وصاحَ صائِح :

ـ ألا إنَّ محمَّدًا قُتل .

وحَسِبَ أبو سُفيانَ أنَّ رسولَ اللّه قدْ قُتل ، فأمَرَ بوقْفِ القِتال ، فما جاءَ إلاّ لِيَقتُلَ محَمَّدا ، وليثأرَ من حمزة ، لِيُرضِىَ زوجَتَه ؛ وجَمَعَ رجالَه حولَ لِوائِه :

ورأى أحَدُ المسلِمينَ رسولَ اللّه ، بعدَ أن ظَنَّ أنّه قُتِلَ فى المعركة ، فصاحَ فى فَرح :

ـ يا مَعشَرَ المسلمين ، أبْشِرُوا ! هذا رسولُ اللّه .

فأشارَ له رسولُ اللّه أن يسكُت ، وراح أبو سُفيانَ يبحَثُ عن جُثّةِ محمَّدٍ بينَ القَتلَى ، فلمَّا لم يَجِدْها أحَسَّ خَيبَةَ أمَل ، وصاح :

ـ أفى القومِ محمَّد ؟

فقال النبىُّ : « لا تُجِيبُوه » .

فصاحَ أبو سفيان :

ـ أفى القَومِ ابنُ أبى قُحافَة (أبو بكر) ؟

فقال النبىُّ : « لا تجيبوه » .

فصاح أبو سفيان :

ـ أفى القَوم ابنُ الخطّاب ؟

فلم يسمعْ أبو سُفيانَ صَوتًا ، فقال :

ـ إنَّ هؤلاء قُتِلُوا ، لو كانوا أحياءَ لأجابُوا .

فلم يستطِع عُمَرُ أن يصبِر ، فقال : «كَذَبْتَ يا عَدُوَّ اللّه ، أبْقَى اللّه عليكَ ما يُخزِيك » .

واستَعَدَّ المسلمونَ ليستَأنِفُوا القِتال ، ولكنَّ أبا سفيانَ لم يَقْبَلْ هذا التَّحدِّى ، بل قال : « يومٌ بيومِ بدر ، اعْلُ هُبَل ، لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم » .

فأجابَه عُمَر : « اللّه مولانا ، ولا مَولَى لكم » .

فقال أبو سُفيان : « إنَّ مَوعِدَكم بَدْرٌ العامَ المقبل» .

فقال عمر : « نعم بيننَا وبينكم مَوعِد ».

وجَمَعَ أبو سفيان رِجالَه ، وذهَبَ إلى مكة ، وهبط النبيُّ ﷺ ليَرى من قُتِلَ من رِجالِه ، فلما رأى

عَمِّه حمزةَ قتيلا ، دمَعَت عيناه ، ونَزَلَ به حُزْنٌ ثقيل .

وحَزِنَ المسلمونَ لِما أصابَهم ، بِسَبَبِ عِصيانِ أوامِرِ الرَّسولِ ﷺ، ولكنْ مُسِحَ من صُدُورِهم ذلك الحُزن ، لـمَّا نَزَلَ القُرآن ، فقد قال اللّه لهم :

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُم ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُون ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الخندق

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمَنوا اذكُروا نِعمةَ اللّه عَليكم إذ جاءَتكم جنودٌ فأرسَلْنا عليهم رِيحًا وجنودًا لم تَرَوها ، وكانَ اللّه بما تَعمَلونَ بصيرا . إذْ جاءُوكم من فَوقِكُم ومن أسفَلَ منكم وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبلَغتِ القُلوبُ الحناجِرَ وتظُنّونَ باللّه الظُّنونا ، هُنالِك ابْتُلِيَ المؤمِنونَ وزُلْزِلُوا زِلزالاً شديدا . وإذْ يقولُ المنافِقُونَ والذينَ في قُلُوبِهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ ورَسُولُهُ إلاّ غُرُورا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

كانَ اليهـودُ يكرهُـونَ محمَـدًا ﷺ ، فلمَّـا رأَوْا أنَّ دِينَه ينتشِر ، وأنَّ أهــلَ المدينـة أصبَحـوا أقويـاءَ بـه ، فكّـروا فـى أن يفعلـوا شيئا ؛ ليقْضُـوا علـى رسـول اللّـه ، ويستـرِيحوا منـه . ولمـا كـانت قريـشٌ عـدُوَّهُ الأشَـدّ ، ذهـبَ بعـضُ أشـرافِ اليهـودِ إلى مكـة ، لِيَتَّفِقوا مع قُريشٍ على حربِ المسلمين .

دخلَ اليهودُ على أبـى سُفيانَ وسـاداتِ قريـش ، وقالوا لهم :

ـ إنّا سنكونُ معكم عليه ، حتى نستأصِلَه .

ورأى بعضُ أشرافِ قريشٍ أن يَسـأَلَ اليهـودَ عـن دينِ محمد ، فقال :

ـــ يـا مَعشَـرَ يهـود ، إنكـم أهــلُ الكتــابِ الأوّل

« التوراة » ، والعِلم بما أصبحنا نختلِفُ فيه نحن ومحمد ، أفَدِيننا خيرٌ أم دِينُه ؟

كانَ اليهودُ يحسدُونَ محمَّدا ، ويغتاظُونَ منه ، فقالوا :

ـ بل دينُكم خيرٌ من دِينِه ، وأنتم أولَى بالحَقِّ منه .

جعلَهم الحَسَدُ يقولون : إنَّ عِبادَةَ الأَصنامِ خيرٌ من عِبادَةِ اللّه الواحِد ، فأنْزَلَ اللّه فيهم : « ألَمْ تَرَ إلى الّذين أُوتُوا نَصِيبًا من الكِتابِ ، يؤمِنونَ بالجِبْتِ والطّاغُوت ، ويقولُونَ للذينَ كَفَرُوا : هؤلاء أهْدَى من الذينَ آمَنوا سَبيلا . أولئكَ الذينَ لَعَنَهم اللّه ، ومَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ له نَصِيرا » .

ووافقَتْ قُرَيشٌ على أن تُحارِبَ محمَّدًا مع اليهود ، ولم يكتَفِ اليهودُ بالاتّفاقِ معَ قريشٍ على ذلك ، بل خَرجُوا يَتّفِقُون مع القبائِل الأُخرى ؛ كانوا يُرِيدُونَ أن يَقْضُوا على الإِسلام ، وأن يُطْفِئوا نُورَ اللّه .

٢

بلغَ المسلمينَ أنَّ اليهودَ ألَّبُوا عليهم قُريشًا والعرب ، وأنَّ أبا سُفيانَ قد خَرَجَ على رأسِ جيشِه لِيُقاتِلَهم ، فراحُوا يُفكِّرُون ماذا يفعلون ؛ إنهم لا يسْتَطِيعُونَ أن يُقاتِلُوا هذه القُوَى مُجْتَمِعة ، ولكنهم يستَطِيعُونَ أن يُدافِعُوا عن المدينة . إنَّ العربَ ما كانوا يعرِفونَ القِتالَ إلاّ وَجهًا لِوجْه ، فكانَ الرأىُ أن يقِفَ المسلمونَ في وجهِ قُوَّاتِ أبى سُفيان ؛ ولكنَّ سَلمانَ الفارِسيّ ، الذى خرج من بلاده يبحثُ عن الدِّينِ الجديد ، حتى قابَلَ رسولَ اللّه ، وأسْلَمَ ، رأى في بِلادِه ما تَفعَلُهُ الجيوشُ

المُدَرَّبَةُ فى أثناءِ حِصار المدن ، فاقْتَرح حفرَ خَندَقٍ عمِيقٍ واسِعٍ حولَ المدينة ، وقال :

ـ أرى يا رَسُولَ اللّه ، أن تَضْرِبَ على المدينةِ خَنْدَقًا ، فَيُصبِحَ بينَنا وبينَ المُشركين ، فلا يستَطِيعُوا اقتِحامَه .

أُعجِبَ النبىُّ ﷺ بهذا الرأى ، فتناوَلَ فأسًا ، وضَرَبَ به يَحْفِر الخندق ؛ وقام المسلِمُون يحفِرُون حولَ المدينةِ خَندَقًا عميقا .

ونالَ التّعبُ من الرِّجال ، فراح النّبىُّ يُشَجِّعُهُم وهو ينقُلُ التُّرابَ ، كان يرتَجِزُ بكلماتِ ابنِ رَوَاحَة ، أحَدِ المسلِمين :

لاهُمَّ لولا أنت ما اهتَدَينا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا
فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً علينا ... وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا
والمشركُونَ قدْ بَغَوا علينا ... وإن أرادُوا فِتْنةً أَبَينا

فراحَ المسلمون يُرَدِّدُون :

نحن الذينَ بايَعُوا محمَّدا ... على الجِهادِ مابَقِينا أبدا

وراحَ سَلْمانُ يَضْرِبُ فى الخندَق ، فاعْتَرَضَتْه صخرة ، وكان رسولُ اللّه قريبًا منه ، فلما رآه يضرِب ، ورأى شِدَّة المكانِ عليه ، ذهبَ إليه ، وأخَذَ منه المِعْوَل ، فضَرَبَ به ضَرْبَة ، فلَمَعَت تحتَ المِعْوَل بَرْقَة ، ثمَّ ضَرَبَ به ضَرْبةً أخرَى ، فلَمَعَتْ تحتَه بَرْقَةٌ أخرَى ، ثم ضَرَبَ به الثالثة ، فلَمَعت بَرْقةٌ أخرَى .

فقال له سَلمان :

ـ بأبِى أنتَ وأمِّى ، يا رسولَ اللّه ! ما هذا الذى رأيتُ لمعَهُ تحتَ المِعْوَلِ وأنتَ تضرِب ؟

قال له رسول اللّه :

ـ أوَقَدْ رأيتَ ذلك يا سَلمان ؟

ـ نعم .

قال رسولُ اللّه :

ـ امَّا الأولَى ، فإنَّ اللّـهَ فتَحَ علىَّ بابَ اليَمَن ، وأمَّا الثانية ، فإنَّ اللّه فتَحَ علىَّ بابَ الشامِ والمغرِب ، وأمَّا الثالثة ، فإنَّ اللّه فتحَ علىَّ باب المَشْرِق .

فى هذه اللَّحظة الشديدة ، التى كان المسلمونَ يحفِرُونَ فيها الخَندَق ، ولا يسْتَطِيعُونَ أن يخرُجُوا فيها لأعدائِهم ، كان رسولُ اللّه على ثِقةٍ من نَصرِ اللّه ، وكان على يقِينٍ من أنَّ اللّهَ سينصُرُه ، وينشُرُ دِينَه فى اليمن وفى الشام ، وفى المشرِق والمغرِب .

٣

جاءَ أبو سُفيانَ فى جيشٍ عِدَّتُه عشرة آلاف ، وجاءَ رسولُ اللّه فى ثلاثةِ آلاف ؛ وكان الخَندَقُ بين الجيشينِ ، وأغلَقَ يهودُ بنى قُرَيظَةَ حِصنَهم عليهم ،

كانوا قدْ عـاهَدُوا رسـولَ اللّـه علـى أن يعِيشُـوا فـى جِوارِ المسلِمين فى أمان ، ولكنَّ زَعِيمَ اليهـود الـذى اتَّفَقَ مع قريشٍ على القتالِ ، جاءَ إلى الحِصن ، وقال لرئيسِ بنى قُرَيْظة :

ـ وَيْحَك ، افتَح لى .

فلم يشأ أَن يفتحَ له ؛ لأنَّه كـانَ يعلَـمُ أنَّ مـا جاء إليه إلاَّ ليطلبَ منه قِتالَ محمد ، وقال :

ـ إنِّى قد عاهَدْتُ محمَّدًا ، فَلَسْتُ بناقِضٍ ما بينِـى وبينَه ، ولم أرَ منه إلاَّ وَفاءً وصِدقًا .

ـ وَيْحَكْ ! افتَحْ لى أكلِّمك .

واستَمرَّ يُلِحُّ عليه ، حتى فَتَح له ، فقال له :

ـ ويْحَك ! جئتُكَ بِعِزِّ الدَّهر .

ـ وما ذاك ؟

ـ جئْتُكَ بقريشٍ والعرب ، قد عاهَدُونِى أن لا يَبرَحُوا حتى نَستَأصِلَ محمدًا ومَن معه .

فقال زعيم بنى قُرَيظة :

ـ ويحَك ! فَدَعْنى وما أنا علَيه ، فإنِّى لم أر من محمدٍ إلاّ وَفاءً وصدقا .

إلاّ أنّه قَبِلَ أخيرًا أن ينضمَّ بنو قُرَيظة ، حُلَفاءُ محمد ، إلى أعدائِه ؛ وبَلَغَ الخَبَرُ رسولَ اللّه ﷺ ، فأرسَلَ إلى بنى قُرَيظةَ ساداتِ المسلِمين فى المدينة ، وقال لهم :

ـ انطلِقُوا حتى تأتُوا هؤلاء القوم ، فَتَنْظُروا أحقٌّ ما بَلَغَنا عَنهم .

وذَهَب المسلمون إلى اليهود ، وسألُوهم عمَّا بَلَغَ رسولَ اللّه عنهم ، فقال اليهودُ فى سُخرِية :

ـ مَن رسولُ اللّه ، لا عَهدَ بيننا وبينَ محمد .

وعَلِمَ ساداتُ المسلِمينَ فى المدينة ، أنَّ اليهودَ قد انضَمُّوا إلى أعداءِ المسلِمين ، فَعادُوا إلى رسولِ اللّه ، وأبلَغُوهُ أنَّ اليهودَ قد خانُوه ، ومالُوا إلى أعدائِه .

٤

حاوَل الكفّارُ أن يجتازُوا الخندق ، ولكنَّ سِهامَ المسلِمينَ كانت تُردُّهم . واستمرَّ حِصارُ قريشٍ للمسلمين قريبًا من شهر ، فَتَضايَقَ أبو سُفيان ؛ كانَ يحسِبُ أن سَيَقْضِي على محمَّدٍ وأنصارِه في يومٍ واحِد ، ثم يعودُ إلى مكة ، ولكن ذلك الخَندَقَ حالَ بينَه وبين أن يُحَقّقَ هذا الأَمَل .

وقفزَ فُرسانٌ من قريشٍ من مكانٍ ضَيِّقٍ في الخندق ، فخرجَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ في نَفَرٍ من المسلمين وقابَلَهم ، ودارَت مُبارَزَاتٌ بين فُرسانِ قريشٍ وفُرسانِ المسلمين ، انتهَت بانكِسارِ فُرسان قُريش . ولكنْ اشتَدَّ البردُ والجُوعُ على المسلمين ، ونَزَلَت بهم شِدَّةٌ عظيمةٌ بسببِ الحِصارِ ، فراحَ رسولُ اللّه يدعُو ربَّه :

ـ اللّهُمَّ مُنزِلَ الكتاب ، سريعَ الحساب ، اهزِمِ الأحزاب ، اللهمَّ اهزِمهم وزلزِلْهم .

واشتَدَّ البَردُ في اللَّيل ، وصفَرَتِ الرِّياح ، فدخل المسلمونَ خيامَهم ، وكانت في الخَندَق ، واشتَدَّت الرّيحُ فاقْتَلَعت خيامَ قُريش ، وطَرَحت قُدُورَهم ، فَدَبَّتِ الفَوضَى في مُعَسكَرِهم ، وحاوَلُوا أن يَجِدُوا

مكانًا يَستَخْفُونَ فيه من غضَبِ السماء ، ولكنهم لم يجدُوا مأوًى لهم ، فاشتَدَّ بهمُ الكَرْب ، وضَعُفَتْ نُفُوسُهم ، وتَمَنَّوا أن تَكُفَّ الرِّياح ، لِيَعُودُوا إلى مكة ، فقَد تحالَفَتِ الطبِيعَةُ مع المسلمين .

وهَدأتِ الرِّياح ، وأصبَح الصَّباح ، فنظَرَ المسلمونَ إلى معسكرِ الأعداء ، فَوَجَدُوا سُكُونًا وهدوءا . قال النبيُّ ﷺ :

ـ مَن يأتِينا بخَبَرِ القَوم ؟

فقال الزُّبَيرُ بنُ العوَّام : « أنا » .

وخرجَ الزُّبَيرُ إلى معسكرِ قُرَيشٍ وهو يَسِيرُ فى حَذَر ، فلَم يَجِدْ إلاّ قُدُورًا مُنكَفِئَة ، وخِيامًا مُقْتَلَعَة ، فعَادَ إلى المسلمينَ مسرورًا وصاح :

ـ رَحَلُوا .. رحَلُوا .

فَشاعَ الفَرحُ فى صُفُوفِ المسلِمينَ ، وهَتَفُوا :

ـ لا إلَه إلاّ اللّـه وحدَه ، صَدَقَ وَعْدَه ، ونَصَرَ عبدَه ، وأعَزَّ جُنْدَه ، وهَـزَمَ الأحْـزَابَ وحْـدَه ، فلا شىءَ بَعدَه .

وحَمِدَ رسولُ اللّه ربَّه ، ثمَّ قال :

ـ الآنَ نَغْزُوهم ولا يَغزُونَنا ، نَحنُ نسيرُ إليهم .

٥

انصَرَفَ رسولُ اللّـه ﷺ إلى دارِه ، وانصـرفَ المسلمون إلى دُورِهم ، ووضَعَ النَّبىُّ سِلاحَه ، فجاءَه جبرِيل ، وقال له :

ـ أوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ يا رسولَ اللّه ؟

قال رسولُ اللّه ﷺ : « نعم » .

فقال جبريل : « إِنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ يأمُرُكَ بالمسِيرِ يا محمَّدُ إلى بنى قُرَيظَة ، فإنّى عامِدٌ إليهم ، فمُزَلزِلٌ بهم » .

خانَ اليهودُ محمَّدًا ، وتآمَرُوا عليه ، ولولا أن لَطفَ اللّه به ، وأنقَذَه من حِصارِ أعدائِه ، لكانَ فى ذلكَ القضاءُ على الإِسلام ، لذلك كانَ لابُدَّ من حرب اليهود ، وأخراجهم من جوار المسلِمين ، فَلَمْ يَعُدْ لهم أمان .

أمَرَ رسولُ اللّه مُؤَذِّنًا ، فأذَّنَ فى النّاس :

ـ مَن كان سامِعًا مُطِيعًا ، فلا يُصَلِّيَنَّ العَصرَ إلاّ فى بنى قُريظة .

واجْتَمَعَ المسلِمُونَ فى عُدَّةِ القِتال ، وذهبُوا إلى حصونِ بنى قُريظة ، فلَمَّا رآهم اليهودُ ارتَجَفُوا ، ودخلُوا الحصُون ، فأغْلَقُوها عَليهم ، ولم يكُنْ

عندَهــم طعـامٌ ولا شــرابٌ يكفِيهــم ، فَحــاصَرَهم المسلمون حتى طلَبُوا التّسلِيم .

عـرَضَ عليهـم رسـولُ اللّـهِ أن يُعْلِنُــوا إســلامَهم فرفضُوا ، وعَرَضُوا عَلَيه أن يحكُمَ بينَهم وبينَ رسـولِ اللّه حَكم ، فلمّا جاءَ الحَكَمُ رأى أنهم تـآمَرُوا علـى حُلَفـائِهم ، وأنَّ هـذه الخِيانـةَ جزاؤهـا القَتْـل ، فـأمَرَ بِقتلِ الرِّجال ؛ ونُفِّذَ حُكمُ ذلك الحَكَمِ فى اليهـود ، فأصبَحَتِ المدينــةُ للمســلمِين ، أورَثَهُـم اللّـهُ إياهـا ، وكانَ اللّهُ على كلِّ شيء قدِيرا .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

صلح الحديبية

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنَّ الّذينَ يُبايِعُونَك إنّما يُبايِعُونَ اللّـه ، يـدُ اللّهِ فَوقَ أيدِيهم ، فَمَنْ نكَثَ فإنَّما يَنكُثُ علـى نَفْسِـه ، ومَـن أوْفَـى بِمـا عـاهَدَ عليهُ اللّـهَ ، فَسَـيُؤتِيهِ أجْـرًا عَظِيما ﴾ .

(قرآن كريم).

١

حاوَلَتْ قُرَيشٌ أن تَقضِيَ على الإِسلامِ ، في بَدْر ، وفي أُحد ، ويومَ اجتَمَعَتِ الأحزابُ على حربِ محمَّد ، ولكنَّ الإسلامَ ثبتَ في وجهِ أعدائِه ، وانتشَرَ على الرَّغم من سيوفِ الأَعداء ، التي تُرِيدُ أن تُجهزَ عليه ؛ انتَشَرَ بالحُجَّةِ والاقتناع ، وكان الاضطهادُ يزيدُ الناسَ إيمانًا به ، ودُخُولا فيه ، وكان عددُ المسلِمينَ في تزايُدٍ مستمر . ففِي بدرٍ قاتَل قريشًا ثلاثُمائة مُقاتل ؛ وفي غزوة أُحُد ، وكانت بعدَ بدرٍ بعامٍ واحد ، كانت عِدَّةُ الجيشِ الإِسلاميِّ سبعَمائةِ مُقاتِل ؛ وكانَ المقاتِلُونَ المسلِمونَ في غَزوةِ الخَندَقِ ألفَين .

كان الناسُ يدخُلُونَ فـي دينِ اللّـه أفواجـا ، وقـد دخَلُوا فيه راضِين ؛ اتَّبَعُوا الإسلامَ لأنَّه الدِّينُ الحَقّ ، وما انتشَـرَ يومًـا بحدِّ السـيف ، ولكنّـه انتشرَ علـى الرَّغم من السيُّوف التي شُهِرَت للقضاء عليه .

٢

أرادَ رسولُ اللّه ﷺ أن يَخـرُجَ إلى مكـة للحـجّ ؛ وكان النّـاسُ يـأتُونَ إلى الكعبـة مـن كـلِّ مكـانٍ فـى الموسِم ، فَتَجَهَّـزَ المسـلمون للخـروج إلى مكّـة ، وخرَجُوا فى ثِيابِهم البِيـض على جمالِهم ، وكـانوا ألْفًا وأرْبَعمائة ، وكانوا عُزْلا مـن السِّـلاح ، لِيُعلِنُـوا لِقُرَيشٍ أنهم لا يُريدُونَ حربَهم ، وإنّما جاءُوا زائِرينَ لهذا البيت ، ومعَظِّمِينَ له .

وفيما هم فى الطريق ، جاءَ إلى رسولِ اللّه رجُل ، وقال له :

ـ يا رسولَ اللّه ، هذه قريشٌ قد سمِعَت بمَسيرِك ، فخَرَجُوا وقد لبِسُوا جُلُودَ النُّمور ، يُعاهِدُونَ اللّه ألاَّ تدخُلَها علَيهم أبَدا .

لم يكنْ رسولُ اللّه يريد حربًا ، إنَّه إنَّما يُريدُ زيارةَ الكعبة ، فقال :

ـ يا وَيحَ قُرَيش ! لقدْ أكَلَتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبين سائِر العرب ، فإن هم أصابُونِى كان ذلك الذى أرادُوا ، وإن أظهَرَنى اللّه عليهم دخلُوا فى الإسلام وافِرين ، فما تَظُنُّ قُريش ، فواللّه لا أزالُ أُجاهِدُ على الذى بَعَثَنِى اللّه به ، حتى يُظْهرَه اللّه ، أو أموتَ دونه .

وسارَت قافلةُ المسلِمينَ فى طريقٍ غيرِ طريقِ قريش ، حتى ظهرتْ مكة ، فبَركتْ ناقةُ الرسول ، فقال الناس :

- بَرَكَتِ الناقَة .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

- حَبَسَها حابسُ الفيلِ عن مكة ، لا تَدْعُونِى قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ يسألُونَنِى فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلاّ أعطَيْتُهم إيَّاها .

كان النبيُّ يحبُّ مكةَ بلَدَه ، وما كان يحبُّ أن يَجْرِى فيها قِتال ، أو تَسيلَ فيها دماء ، وهى البَلْدَة الآمنة ، فقال لأصحابه :

- انزِلُوا .

فنزَلُوا عن جِمالِهم ، وعسكَرُوا بالقُربِ من مكة .

٣

جاءَ رجُلٌ من قُرَيشٍ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وقال له :

ــ ما الذى جاءَ بك ؟

فقال له رسولُ اللّه : إنه لم يأتِ يُرِيدُ حَرْبًا ، وإنما جاءَ زائِرًا للبيت ، ومُعَظِّمًا لِحُرمَتِه .

فعادَ الرَّجُلُ إلى قريشٍ وقال :

ــ إنَّ محمَّدًا لم يأتِ لِقِتال ، وإنما جاءَ زائِرًا لهذا البيت .

فقال الرجالُ الحاقِدونَ على محمدٍ ﷺ :

ــ إن كان جاءَ لا يُرِيدُ قتالا ، فواللّه لا يَدخُلُها علينا عُنْوةً (بالقوَّة) أبدا .

وراح رِجالٌ من قُريش يَفِدُونَ إلى النَّبِيّ ، يسألُونَه

عمَّا جاءَ له ، فيقولُ لهم إنَّه ما جاءَ يُريدُ حربا ، ولكنه جاءَ زائِرًا للكعبة ، ولكنَّ قريشًا لم تَقْنَع بما قال ، فرأى رسولُ اللّه ﷺ أن يُرسِلَ إلى قُريش رجلاً من رجالِه ، فَدَعا عُمَرَ بنَ الخطّابِ ليُرسِلَه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشرافَ قريش ما جاءَ له ، فقال عمر :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنِّى أخافُ قريشًا عَلَىَّ ، وقد عَرَفَت قريش عَداوَتِى إيَّاها ، ولكنِّى أدُلُّكَ على رجُلٍ أعزَّ بها منى .

دعا رسولُ اللّه ﷺ عثمانَ بنَ عفَّان ، وأرسَلَه إلى قريش ، فخرَجَ عثمانُ إلى مكة ، لِيُبَلِّغَ أبا سُفيانَ وأشرافَ القَومِ ، أنَّ رسولَ اللّه ما جاءَ يُريدُ حربا ، ولكنَّه جاءَ يريد زيارة الكعبَة .

تأخَّر عُثمانُ في العَودَة ، فقَلِقَ رسولُ اللّه عليــه ، وذاعَ بينَ المسلِمين أنَّ عُثمانَ قُتِل ، فلمَّـا بَلَـغَ ذلـك رســولَ اللّــه غضِــب ، وجَمــعَ المســلِمينَ تَحــتَ الشجرَة ، وطلَبَ منهم أن يُبايِعُوه على الثَّأرِ بعثمان ؛ إنَّه ما جاءَ للحرب ، ولكنَّ قريشًـا قَتلـت صاحبَـه ، فما كان له أن يَفِرَّ بعد ذلك الاعتِداء ، وكانت هذه البَيعة هي بَيعَةَ الرِّضوان . وقَبلَ أن يتحرَّك المسلمون للثَّأر بعثمان ، ظهرَ عثمانُ بنُ عفَّان ، ومعه رجلٌ من قريش ، جاءَ يُفاوِضُ النبيَّ على الصُّلــح ، فلمـا رأى رسولُ اللّه الرجُلَ قال :

ــ قد أرادَ القومُ الصُّلْحَ حين بَعثُوا هذا الرجل .

ودارت المفاوضـاتُ بـين رسـولِ اللّـه وسُـهَيلِ بـنِ

عمرٍو رسولِ قريش ، فاتّفَقَا على أن يتهادَنا (أى لا يُحاربُ أحدُهما الآخَر) عَشْرَ سِنين ، وأن يَرجِعَ النبيُّ وصَحبُهُ عن مكة عامَهم هذا ، على أن يَعُودُوا إليها فى العامِ الذى يليه ، فيدخُلُوها ويُقِيمُوا بها ثلاثة أيام .

وغَضِبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لهذه الشُّروط ، فجاءَ إلى رسولِ اللّه يستَنكِرُ هذِه المُفاوَضة ، قال له :

ـ يا رسولَ اللّه ، ألستَ برسولِ اللّه ؟

قال رسولُ اللّه ﷺ : « بَلَى » .

قال عُمَر :

أوَلَسنا بالمسلِمين ؟ ـ بَلَى .

ـ أوَلَيسُوا بالمشركين ؟ ـ بَلَى .

ـ فَعلامَ نقبَلُ الذُّل فى دينِنا ؟

فقال له النبىُّ ﷺ :

ـ أنا عبدُ اللّه ورسولُه ، لـن أُخـالِفَ أمـرَه ، ولَـن يُضَيِّعنِى .

لم يفهـم عُمرُ فـى ذلـك الوقـتِ حكمـةَ هـذه المعاهَدة ، فَغَضِب ، وغضِبَ كثيرٌ من المسلمين .

٥

دعـا رسـولُ اللّـه ﷺ علِيًّـا لِيَكتُـبَ لـه نُصُـوصَ المعاهَدة ، فقال له :

ـ اكتب : باسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيم .

فقال سُهَيلٌ رسولُ قريش :

ـ لا أعرِفُ هذا ، ولكن اكتب : باسمِكَ اللّهمَّ .

فقال رسولُ اللّه ﷺ لِعلِىّ :

ـ اكتب ، باسمك اللّهمّ .

ثم قال :

ـ اكتب : هذا ما صالَح عليـه محمـدٌ رسولُ اللّـه سُهَيلَ بنَ عمرو .

فقال سهيل :

ـ لو شهِدتُ أنَّك رسولُ اللّـه لم أُقـاتِلْك ، ولكـن اكتب اسمَك واسمَ أبيك .

فقال رسول اللّه لِعلِيّ :

ـ اكتب : هذا ما صالَحَ عليه محمدُ بـنُ عبـد اللّـه سهيلَ بنَ عَمْرو ، اصطلَحا على وضْـعِ الحربِ عن الناسِ عشرَ سِنين يَأمَنُ فيهنَّ الناس ، ويكُفُّ بعضُهـم عن بعض .

وكُتِبَت المعاهَدة ـ والمسلمون فـى حُزن شـديد ، كانوا يظُنُّونَ أنهم سيدخلُونَ مكة ، وإذا بالنَّبِيِّ يتفِـقُ مع قريشٍ على أن يَرجِعَ هذا العام ، لِيعُودَ فى العـامِ

الذى يليه ، وعلى أنَّ من يأتِى رسولَ اللّه من قريشٍ بغيرِ إذنِ سيِّدِه ردَّه عليهم ، ومن جاءَ قريشًا من محمد ، لم يَرُدُّوه عليه .

٦

كانت هذه المعاهدة نصرًا لرسولِ اللّه ، وإن لم يفهَمْ ذلكَ أغلَبُ المسلمينَ الذينَ كانوا معه . إنَّه ضَمِنَ بها أن يأتِيَ إلى مكة فى العامِ القادم دون إراقةِ دماء ، وقد زادَتْ هذه المُعاهَدةُ فى عُلُوِّ شأنِ الإسلام فى جَزِيرة العرب ، حتّى إنَّ الذين جاءُوا إلى المدينة بعدَ توقِيعِها ليدخُلُوا فى دينِ اللّه ، كانُوا أكثرَ ممَّن جاءُوا يُعلِنُونَ إسلامَهم فى السنواتِ السِّتِّ السابقة .

وعاد المسلمون إلى المدينة ، وفى الطَّريقِ أنْزَلَ اللّه

علـى رسـولِه سُـورةَ الفَتـح ، فـراحَ يقرَؤهـا علـَى الناس :

﴿ بسمِ اللّه الرحمن الرحيم ....

إنّا فَتَحنا لكَ فَتحًا مُبينا ، لِيَغفِرَ لك اللّـهُ ما تَقَـدَّمَ من ذنْبكَ وما تأخَّر ، ويُتِمَّ نعمَتَه عليـك ، ويهدِيَـك صراطًا مُستَقِيما ، وينْصُرَكَ اللّه نصرًا عزيزا ﴾ .

﴿ إنَّ الذينَ يُبايِعُونَكَ إنّما يُبايِعونَ اللّـه ، يـدُ اللّـه فَوقَ أيدِيهم ، فَمَنْ نَكثَ فإنّما ينكُثُ علـى نفسِـه ، ومـن أوفَـى بمـا عـاهَدَ عليـهُ اللّـه ، فَسَـيُؤتِيه أجـرًا عَظِيما ﴾ .

ولَمّـا أتَمَّ رسـولُ اللّـه السُّورَة ، نزلَـتْ الطمأنينـةُ قلوبَ المسلِمين ، فقـدْ أيَّـدَ اللّـه رسـولَه ، وَوَعَدَهـم اللّه فتحَ مكة .

٧

وفى مكةَ سارَ خالِدُ بنُ الوليدِ مُطْرِقـا ، يفكّـر فـى الدِّينِ الجديد ، الـذى جاءَ به محمـد ، فَيَجـدُهُ دِينًا قَيِّمـا ، يدعُـو إلى مكـارِمِ الأخـلاق ، فلمـاذا يكـابِرُ ولا يدخُلُ فيه ؟ وفِيما هو فى تفكِيرِه قابَلَه عمْرُو بـنُ العاص ، وقال له :

ـ أينَ يا أبا سُلَيمان ؟

قال خالدُ بنُ الوليد :

ـ والله إنَّ الرجـلَ لنبـىّ ، أذْهَـبُ واللّـه فأُسلِم ، فحتّى متى ؟

فقال له عمْرو بن العاص :

ـ واللّه ما جئْتُ إلاَّ لأُسلم .

وسـافَرا إلى المدينـة ، لِيُعلِنـا إسـلامَهما ، وقـابَلا

رسولَ اللّه ﷺ وأسلَما ، فلمَّا بَلَغَ قريشًا إسلامُ خالِدِ بنِ الوليدِ فارسِها ، وعَمْرِو بنِ العاص داهِيتها ، تيقّنتْ أنَّ محمدًا ﷺ قد ازداد بهما قوّة .

كسبَ محمدٌ ﷺ بالسِّلم ما لم يكسبه فى أعظَم المعارِك الحربية .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى * فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الدعوة إلى الإسلام

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَأَهْلَ الكِتَابِ تعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه ، وَلاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّه ﴾ .

(قرآن كريم)

١

دخلَ النّاسُ فى دينِ اللّهِ بعدَ صُلحِ الْحُدَيْبِيَة ؛ ولما كانَ اللّهُ قد بعثَ محمّدا ﷺ رسولاً إلَى النَّاس كافّة، رأى الرسُولُ أن يَبعثَ رُسلَه إلى ملوكِ البِلادِ المُجاورة ، يدعُوهم إلى الإِسلام . وفى ذاتِ يوم ، كتب رسائلَ إلى الملوك ، فقال له أصحابُه :

ـ يارسول اللّه ، إنهم لا يقرءون كتابًا إلا إذا كان مختوما .

فصنع رسولُ اللّهِ ﷺ خاتمًا ، نُقِشَ فيه : « محمَّدٌ رسولُ اللّه » ، وخُتمتِ الرَّسائلُ بهذا الخَاتَم ، ولم يبق إلا الرِّجالُ الّذين يذهبونَ بها إلى ملوكِ العالَم . كان رسولُ اللّه يعرفُ طبيعةَ الناس ، فإنه يعلمُ أن الّذين سيُرسِلهم إلى مكان قريبٍ يَرْضَوْن ، وأمَّا

الّذين سيُرسلهم إلى مكانٍ بعيدٍ فإنهم يكرهُون ذلك ويرفُضُون ، فجمع أصحابَه ، وقال لهم :

ـ أيُّها الناس ، إن اللّه بعثنى رحمةً وكافّة (أى لجميع الناسِ) فأدُّوا عنّى رحمكُم اللّه ، ولا تختلفوا علىَّ كما اختلفَ الحَواريّونَ على عيسى بن مريمَ عليه السلام .

فقال أصحابه :

ـ وكيف اختلفَ الحواريّونَ على عِيسَى عليه السلامُ يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ دعاهم لمثلِ ما دعوتُكم له ، فأمّا من بعثَه مَبعثًا قريبا فرضِىَ وسلَّم . وأمّا من بَعثَه مَبعثًا بعيدا ، فكَرِه وأبى ، فشكا ذلك عيسى عليه السلامُ إلى ربِّه عزَّ

وجلّ ، فأصبحُوا وكلُّ رجل منهم يتكلّمُ بلغةِ القومِ الذى وُجِّه إليه .

ولم يختلفْ صحابةُ محمَّدٍ ﷺ ، كما اختلف الحَوارِيّونَ على عيسى عليه السلام ، بل قَبِلوا أن يذهبوا إلى حيثُ يُرسِلُهمْ رسولُ اللّه .

٢

أرسلَ محمَّد ﷺ دِحْيَةَ الكَلْبىَّ إلى قيصرَ الرومِ ، بكتابٍ يدعوه فيه إلى الإسلامِ ، فذهب دِحْيَةُ إلى الشّام ، واتَّجه إلى قصرِ الملك ، وطلب مقابَلته ، فلما أذِن له بالدُّخول ، قال رجالُ القصرِ لدحية :

ـ إذا رأيتَ الملكَ فاسجدْ له ، ثم لا ترفعْ رأسَك أبدا حتى يأذنَ لك .

فقالَ دِحْية :

ـ لا أفعلُ هذا أبدا ، ولا أسجدُ لغيرِ اللّه .

قالوا له :

ـ إذنْ لا يأخذُ كتابَك . ودخل دِحْية على الملكِ مرفوعَ الرّأْس ، لم يسجدْ له ، وقدَّم له كتابَ محمد ، فلما رآه قيصرُ لا يسجُدُ له عَجِب ، وأَخذَ منه الكتاب ، ودعا التَّرْجُمانَ ، فقرأه له ، فإذا محمَّد ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، فأَراد أن يعرِف مَنْ مُحمَّد ؟ وما صفتُه ؟ فقال لمن عندَه :

ـ انظُروا لنا مِنْ قومِه أحدًا نسألُه عنه .

فراحُوا يبحثون فى أسواقِ الشّام ، فوجدوا أبا سفيانَ يتاجرُ فى أسواقِ غَزَّةَ ، مع رجال من قريش ، فأخذوه ، وذهبوا به ومن معه إلى قصر الملك ، فى بيتِ المقدس .

دخل أبو سفيانَ ورجالٌ من قريشٍ على الملك ، فإذا به جالسٌ وعليه التاج ، وعظماءُ الرّوم حولَه ، فقال لتَرْجمانه :

ـ سَلْهم : أيُّهم أقربُ نسبا إلى هذا الرجل الَّذى يزعم أنه نبىّ ؟

فقال أبو سفيان :

ـ أنا أقربُهم نسبًا إليه .

فقال له قيصر :

ـ كيف نسبُ هذا الرَّجلِ فيكم ؟

فقال له أبو سفيان :

ـ هو منا ذو نسب .

ـ هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه ؟

ـ لا .

ـ هل كنتم تتّهِمُونَه بالكَذِب على الناس ، قبل أن يقولَ ما قال ؟

ـ لا .

ـ كيفَ عَقْلُه ورأْيُه ؟

قال أبو سفيان :

ـ لم نَعِب عليه عقلاً ولا رأيًا قَطّ .

ـ فأشرافُ النّاس يتّبعونَه أم ضُعَفاؤهم ؟

ـ بل ضُعَفاؤهم !

ـ فهل يَزِيدُونَ أو يَنقُصونَ ؟

ـ بل يَزيدون !

ـ فهل يغدِرُ إذا عاهَد ؟ : « لا » .

ـ فهل قاتلتموه ؟

ـ نعم .

ـ فكيف حربُكم وحربُه ؟

ـ دُوَلٌ وسِجال ، ننتصرُ عليه مرة ، وينتصرُ علينا مرة .

ـ فَما يأمُرُكُم به ؟

ـ يأمرُنا أن نعبدَ اللّهَ وحْدَه ، ولا نشركَ به شيئا ، وينهانا عما كان يعبُد آباؤنا ، ويأمرُنا بالصَّلاةِ والصَّدقَة ، ويأمرُنا بالوفاءِ بالعَهد ، وأداء الأمانة .

لم يكذِبْ أبو سفيان ، على الرّغم من أنه كان يكرهُ محمَّدا ﷺ ، لأنَّ ناسًا من قريشٍ كانوا واقفين ، وخَشِيَ أن يُعرفَ عنه أنه كذّاب .

وقال له قيصر :

ـ إنه نبيّ ، وكنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظنّ أنه فيكم ، ولو كنتُ عندَه لغسلت عن قدميه .

فخرج أبو سفيان من عندِه ، وهو يَعْجَبُ من أمرِ مُحمَّدٍ ﷺ ، الّذى ارتفع شأنُه .

٣

وكتب رسولُ اللّه ﷺ ، إلى كِسْرَى ملكِ فارس ، كتابا جاء فيه :

« بسم اللّه الرَّحمٰن الرَّحيم من محمد رسول اللّه ، إلى كِسرى عظيمِ فارس . سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، وآمنَ باللّهِ ورسولِه ، وشهِد أن لا إله إلاّ اللّهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . أدعوكَ بدِعايةِ اللّه ، فإنى أنا رسولُ اللّهِ إلى النّاس كافَّة ، لأُنذرَ من كان حيّا ، ويَحِقّ القول على الكافرين ، أسْلِمْ تسلَم ، فإن أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوس (أى الّذين هم أتباعك) .

وأعطَى رسولُ اللّه الكتابَ عبدَ اللّه بن حُذافة ، وأمره أن يذهبَ به إلى كِسْرى . فسافر عبدُ اللّه ،

حتى إذا أتى فارسَ ذهب إلى قصرِ الملك ، والتمسَ مقابلَته . فلما أُذن له دخل ، وقدَّم كتابَ رسولِ اللّه إلى الملك .

قرأ كِسْرَى الرسالة ، فلما وجدَه يبدأ : « من محمدٍ رسولِ اللّه إلى كِسرى عظيم الفُرْس » غَضِبَ وثار ، لأنَّ محمَّدًا ﷺ بدأ الكتاب بنفسه ، ومزّق الكتاب . فخرج عبدُ اللّه بن حُذافَة من عِنده ، وسافرَ إلى المدينة .

وقابل عبدُ اللّه رسولَ اللّه ﷺ ، وأخبره أنَّ كِسرَى مزَّق رسالتَه .

فقال رسولُ اللّه : « مَزَّق اللّهُ مُلكَه » .

وصَمَت رسولُ اللّه قليلا ، ثم قال :

ـ لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ من المسلمينَ كنوزَ كِسرَى ، التى فى القصر الأبيض .

وصَدق رسولُ اللّه ، ففى عهدِ عُمَرَ بنِ الخطّاب ، انتصرَ المسلمونَ على الفُرس ، وفتح سعدُ بنُ أبى وقاص مَدَائِنَ فارس ، واستولَى على كنوزِ كِسْرَى ، فى القصرِ الأبيض .

٤

وأَرسَلَ رسولُ اللّه إلى النجاشيِّ كتابا ، فخرج به عمرُو بنُ أميَّة ، وكان المسلمونَ الّذين هاجروا إلى الحبشةِ عنده يُكرِمُهم ويَحْضُرُونَ مجلسَه ، فلما جاءَ عمرُو بن أميةَ بكتابِ رسول اللّه ، أخذه النجاشىُّ وقبَّله ، ووضعه على رأْسِه وعينيه ، ونزل عن سريرِ مُلكه تواضعا ، ثم أسلم ، وشهِد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللّه .

وكتب إلى رسولِ اللّهِ ﷺ :

« إلى محمَّدٍ رسولِ اللّهِ ، من النجاشِيِّ أَصْحَمَة .

السّلامُ عليك يا نبيَّ اللّه منَ اللّه ، ورحمةُ اللّهِ وبركاتُه ، الّذى لا إله إلاّ هو ، الّذى هدانى للإِسلام . أما بعد : فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ اللّه ، وقد قرَّبْنا ابنَ عمِّك وأصحابَه (يعنى جعفرَ بنَ أبى طالب ، ومن معه من المسلمين) ، فأشهدُ أنّك رسولُ اللّه ﷺ صادقًا مُصَدَّقا ، وقد بايعتُك ، وبايعتُ ابنَ عمِّك ، وأسلمت على يدِه للّه ربِّ العالمين .

٥

وأرسلَ رسولُ اللّه ﷺ إلى مصرَ ، حاطبَ بن أبى بلتَعة ، ليُسلّم إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، الكتابَ الذى يدعوه فيه إلى الإسلام . فلما أخذ حاطبٌ الكتاب ، سار إلى منزِله ، وودَّع أهله ، وركِب جَمله ، وسافر فى الصحْراء ، حتى إذا بلغَ مصر

ذهب إلى الإسكندَريَّة ، فقيل له :

ـ إنه فى مجلسٍ مُشْرِفٍ على البحر .

فركِبَ حاطبٌ سفينة ، وحاذَى مَجْلِسَ الْمُقَوْقِس ، وأشار بالكتابِ إليه ، فلما رآهُ المقوقِسُ أمر بإحضـارِهِ بينَ يديه . فدخل حاطِبٌ عليـه ، وأعطـاه الكتـاب ، فقرأ فيه : « بِسمِ اللّه الرحَمنِ الرَّحيـم . مـن محمَّـدٍ بن عبد اللّه إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْـط ، سـلامٌ علـى مَـنِ اتَّبـعَ الهـدى . أمـا بعـد ، فـإنى أدعـوكَ بدعايـةِ الإسـلام . أسـلِمْ تسـلَم يُؤْتكَ اللّـهُ أجـرَك مرَّتـين : (أجْرًا لأَنَّك صدَّقـتَ عيسـى عليـه السـلام ، وأجـرًا لأَنَّك صدَّقتَ محمَّدًا ﷺ) . فإن تولَّيتَ فإنما عليـك إثـمُ القِبط .

﴿ ويـأهلَ الكتـابِ تعـالَوْا إلى كلمـةٍ سـواء بيننـا وبَينكم ، ألاَّ نعبدَ إلاّ اللّه ، ولا نُشرِكَ به شيئا ، ولا

يتّخِذَ بعضُنا بعضًا أربابًا من دونِ اللّه ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ .

فقال المقوقِس :

ـ ما منَعه إن كان نبيّا أن يدعوَ علَى من خالفَه أن يُسَلّطَ عليهم ؟

فقال له حاطب :

ـ ألستَ تشهدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ رسولُ اللّه ، فما له حيثُ أخذه قومُه ، فأرادوا أن يقتُلوه ألاّ يكونَ دعا عليهم أن يُهلكَهم اللّهُ تعالى ، حتى رفعه اللّهُ إليه ؟

قال له المقوقس .

ـ أحسنتَ ! أنت حكيم جاء من عندِ حكيم !

قال حاطب :

- إن هذا النبيَّ ﷺ دعـا النّـاس ؛ فكـان أشـدُّهم عليـه قريـش ، وأعداهـم لـه يَهـود ، وأقربُهـم منـه النّصارى ، ولعمرى ما بشارةُ موسى بعيسى عليهما الصّلاةُ والسّلام ، إلا كبشارةِ عيسى بمحمّدٍ ﷺ ، ومـا دعاؤنـا إيـاك إلى القـرآن ، إلا كدعـائك أهـلَ التّوراةِ إلى الإنجيل .

وأكـرم المقوقِـس حاطبـا ، وعنـد عودتِـه بعـث إلى رسولِ اللّه ﷺ بجاريتين : ماريَـة القبطيـة وسِيرين ، وبثيابٍ كثيرة ، وهدايا عظيمة .

وعاد الرُّسُل إلى محمَّدٍ ﷺ ، وبعـد سـنواتٍ قليلـة دخلت فـارسٌ والشَّـامُ ومصـرُ فى الإسـلام ، وهـى البلادُ التى أوفـد إليهـا رُسُـله ، يدعـونَ ملوكَهـا إلى دينِ اللّه .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

فتح مكة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنّا فَتحنا لكَ فتحًا مُبينا ، لِيغفِرَ لكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تأخّر ، ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيك ، ويَهْدِيَكَ صِراطًا مُسْتَقِيما ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عُقِدَ صُلْحُ الحُديبيَةِ بينَ رسولِ اللّه ﷺ وقريش ، وجاءَ فى ذلك الصُّلح : أنَّه من أحبَّ أن يُحالِفَ محمدًا فَليُحالِفْه ، ومن أرادَ أن يُحالِفَ قُريشًا فليحالِفْها ؛ فحالفَت بنو بكرٍ قريشا ، وحالَفتْ خُزاعةُ رسولَ اللّه ﷺ .

وبينما كان رسولُ اللّه ﷺ جالِسًا فى المسجدِ ، جاءَ عَمْرو بنُ سالمٍ الخُزاعىّ ، وأخبَرَه أنَّ قريشًا وبنى بكرٍ اعتدُوا على قبيلَتِه خُزاعة ، وهى القبيلةُ التى حالَفتْ رسولَ اللّه ، وطلبَ من رسولِ اللّه أن ينصُرَ حليفتَه ؛ ولما كان فى اعتداءِ قريشٍ وحليفتِها على خُزاعةَ حليفَةِ الرَّسول ، نقضٌ للمعاهَدة ، فإنَّ

رسولَ اللّه ﷺ قال لعمْرو بن سالم :

ـ نُصِرْتَ يا عَمْرَو بنَ سالم .

وخافَ أبو سفيانَ أن تشكُوَ قبيلةُ خُزاعةَ إلى حليفِها النبيّ ، مما فعلتْه قُريش ، فخرجَ إلى المدينةِ لِيُقابِلَ رسولَ اللّه ، ويؤكِّدَ المعاهَدة ، ودخلَ على ابنَتِه أمِّ حبيبة ، وكانت قد تزوَّجتْ من رسولِ اللّه ، فلمَّا أرادَ أبو سفيانَ أن يجلِسَ على فِراشِ رسولِ اللّه ، طَوَتْهُ أمُّ حبيبةَ عنه ، فَغَضِب وقال :

ـ يابُنَيَّة ما أدرى : أرَغِبْتِ بى عن هَذا الفِراش ، أم رغِبتِ به عَنّى ؟

فقالت له ابنته :

ـ بَلَى ، هو فِراشُ رسولِ اللّه ﷺ ، وأنتَ رجلٌ مشركٌ نَجِس ، ولم أُحِبَّ أن تجلسَ على فراشِ

رسولِ اللّه ﷺ .

فقال وهو غضبان :

ـ واللّه لقد أصابَكِ يابُنيَّةُ بعدى شرّ .

وخرج أبو سفيانَ حتّى أتى رسولَ اللّه فكلّمهُ ، فلم يردَّ عليه شيئًا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلّمهُ أَن يكلِّمَ له رسولَ اللّه ، فقال :

ـ ما أنا بفاعل .

وذهب إلى عُمَرَ بنِ الخطّاب ، فرفض أن يُكلِّم له رسولَ اللّه ، فدخل على علىٍّ بن أبى طالب ، وعنده فاطمةُ بنتُ رسول اللّه ، فقال :

ـ يا علىّ ، إنك أَمسُّ القومِ بى رَحِما ، وإنى قد جئتُ فى حاجة ، فلا أَرْجِعنَّ كما جئتُ خائبًا ، فاشفعْ لى إلى رسولِ اللّه .

ورفض عليٌّ أن يشفعَ له ، فعاد أبو سفيانَ سيِّدُ قريشٍ خائبًا ؛ لم يجد من يكلِّمُ له رسولَ اللّه ، لأن رسولَ اللّه كان قد وعدَ حلَفاءَه أن ينصرَهم على من نقضوا عهدَه .

٢

أمر رسولُ اللّه ﷺ المسلمينَ أن يتجهَّزوا للخروج ، ولم يَقُلْ لهم أين يريد ، فلما تمَّ كلُّ شيء ، أعلم الناسَ أنه ذاهبٌ إلى مكة ، وأمرهم أن يُسرعوا في سيرهم ، قبل أن تعلمَ قريشٌ بخروجِه ، ويستعدُّوا لمقابلته ؛ كان يُحِبُّ أن يدخلَ مكَّة ، دون أن يُريقَ دما ، وراح يدعو اللّه :

ـ اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش ، حتّى

نَبْغَتَها (أى نفاجئَها) فى بلادِها .

ومضَى رسولُ اللّه لسفره ، حتّى إذا اقتربَ من مكّةَ عسكَر خارجَها ، وكان معه عشرةُ آلافٍ من المسلمين ، وقد قابلهُ فى الطريقِ عمُّه العبّاس ، جاء إليه من مكةَ يُعْلِنُ إسلامَه ، فعاد ليدخلَ معه مكّة .

وجاء اللّيل ، فأشعلَ المسلمونَ النّيران ، وراحوا يذكرونَ اللّه ويُسبِّحونه ، كانوا فى النهارِ فرسانا ، وفى اللّيل رُهبانا .

٣

ركِبَ العباسُ بغلةَ الرَّسول ، وخرج من معسكر المسلمين ، يبحثُ عن حَطّابٍ أو صاحبِ لبن أو ذى حاجة ، ليُرسلَه إلى مكة ، يذكُر لأهلها أنّ رسولَ

اللّه ﷺ قد جاء فى جيشٍ لا قُدرةَ لهم بـه ، ويخبرُهم أنْ يخرجوا إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلَها عليهم عَنْوة .

وفى ذلك الوقت كان أبو سفيانَ وبعـضُ الرِّجـال قـد خرجـوا يتحسَّسـون الأخبـار ، وينظـرون هـل يجـدون خَبَرا . فلمـا رأَوا النـيرانَ ذهبـوا ينظـرون ، فقال أبو سفيان :

ـ ما رأيتُ كاللَّيلةِ نيرانًا قَطُّ ولا عَسْكرا .

فقال رجلٌ معه :

ـ هذه واللّه خزاعة .

فقـال أبـو سـفيان : « خُزاعـةُ أذلُّ وأقـلُّ مـن أن تكونَ هذه نيرانها وعَسكرُها » .

وفى جوفِ اللَّيل ، سمع العبَّاسُ صوتَ أبى سـفيانَ فعرَفه ، فقال له :

ـ وَيْحَكَ يا أبا سفيان ! هذا رسولُ اللّـه ﷺ فـى الناس . واصباحَ قُريشٍ واللّه .

قال أبو سفيان :

ـ فما الحيلة ؟ فِداك أبى وأمّى .

قال العَبَّاس :

ـ واللّه لئِن ظَفِرَ بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب فى عَجُزِ هذه البغلة ، حتـى آتـى بـك رسـولَ اللّـه ﷺ فأستأمِنَه لك .

فَرَكِبَ أبو سُفيانَ خلْفَ العبّاس ، وذهبا إلى حيث كان رسولُ اللّه ، فكانـا كلَّمـا مـرَّا بنـارٍ مـن نِـيرانِ المسلمين ، سمعا صوتًا يُنادِى : من هذا ؟

وحينما يَرَونَ بغلَةَ رسـولِ اللّـه ، وعَليهـا العبَّـاس يقولون :

ـ عمُّ رسولِ اللّه ﷺ على بَغلَتِه . ويُفسِحُونَ الطريق ، حتى إذا مرَّا بنارِ عمرَ بن الخطاب ، ورأى عمرُ أبا سفيان ، قام إليه يصيح :

ـ أبو سفيانَ عدوُّ اللّه ، الحمدُ للّه الذى أمكنَ منك ، بغَيرِ عَقْدٍ ولا عهد !

وراح عُمَرُ يجرِى إلى حَيثُ كان رسولُ اللّه ، وراح العبَّاسُ يستحِثُّ البَغْلَة على الجَرْى . كان كلٌّ منهما يحاوِلُ أن يَصِلَ إلى رسولِ اللّه قبلَ الآخَر ، ووصلَ العبَّاسُ إلى حيثُ كان الرَّسُول ، ودخلَ عليه ، ودخلَ عمرُ خلفَه ، وقال عمر :

ـ يا رسُولَ اللّه ، هذا أبو سفيانَ قد أمكنَ اللّه منه بغيرِ عَقْدٍ ولا عهد ، فَدَعْنِى فلأَضرِبْ عُنقَه .

قال العبَّاس :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنّي قَدْ أجَرتُه .

وصَرَفَ النبيُّ عمرَ والعبَّاس وأبا سُفيان ، وقال لِعَمِّه :

ـ اذهَبْ به يا عبَّاسُ إلى رَحْلِك ، فإذا أصبحتَ فأْتِنِى به .

٤

أصْبَحَ الصَّباح ، فجاءَ العبَّاسُ ومعه أبو سفيانَ إلى رسولِ اللّه ، فلمَّا رأى رسولُ اللّه أبا سُفيان ، قال له :

ـ ويْحَك يا أبا سُفيان ، ألم يأنِ (يعنى : ألَمْ يَحِنْ) لك أن تعلَمَ أنَّه لا إلَه إلاّ اللّه ؟

قال أبو سفيان :

ـ بـأبىِ أنـتَ وأُمِّـى ، مـا أحْلَمَـكَ وأكرَمَـكَ وأوصَلَك ؟ واللّه لقدْ ظَننتُ أن لو كانَ معَ اللّـه إلَـهٌ غيره ، لقد أغْنَى عَنِّى شيئًا بعد .

قال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ ويْحَكَ يا أبا سُفيان ! ألَم يأنِ لـك أن تَعْلَـمَ أنِّـى رسولُ اللّه ؟

قال : « بأبِى أنتَ وأمِّـى ، مـا أحْلَمَـكَ وأكْرَمَـكَ وأوصَلَك ! أمَّا هذِه واللّه فإنَّ فى النَّفسِ منهـا حتـى الآن شيئا » .

فقال له العباس :

ـ ويْحَك ! أسْلِمْ واشهَدْ أن لا إلـهَ إلاّ اللّـه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، قَبلَ أن تُضرَبَ عُنُقُك .

فقال أبو سفيان :

ـ أشهَدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه .

فقال العبَّاس :

ـ إنَّ أبا سُفيان رجُلٌ يُحبُّ هـذا الفخـر ، فـاجْعَل له شيئا .

قال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ نعم ، من دخَلَ دارَ أبى سُفيانَ فهو آمن ، ومـن أغْلَقَ بابَه فهو آمِن ، ومَن دخَلَ المسجِدَ فهو آمِن .

٥

وتأهَّبَ جَيـشُ المسـلمينَ لدخُـولِ مكـة ، وركِـبَ رسولُ اللّه ناقَته ، وذهب أبو سفيانَ يصرُخ :

ـ من دخَلَ دارَ أبى سفيانَ فهو آمنٍ ، ومَن أغْلَـقَ بابَه فهو آمِن ، ومن دخلَ المسجِدَ فهو آمِن .

ودخَلَ المسلِمونَ مكة وقد اختبأ الناسُ فى دُورِهم ، فَسَجَدَ رسولُ اللّه ﷺ علـى ظهرِ ناقَتِـه شكرًا للّـه ، فقد دخَلَ مكةَ منتَصِرًا بعدَ أن خَرجَ منها خائِفًا يترَقَّب .

واطمأنَّ الناسُ إلى أنَّ رسولَ اللّه لن يَبطِشَ بهـم ، فخرجُوا إليه ، وذهبَ رسولُ اللّه وصحبُه إلى البيتِ يطوفونَ به ، ووقفَ رسولُ اللّه على بـابِ الكعبَـة ، وقال :

ــ لا إلـهَ إلاّ اللّـهُ وحْـدَه لا شَريكَ لـه ، صَـدَقَ وعْـدَه ، ونَصرَ عَبدَه ، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه .

يا مَعشَرَ قريش ، إنَّ اللّه قدْ أذْهَـبَ عنكـم نَخْوَةَ الجاهِلِيَّة ، وتَعَظُّمَها بالآباء . النـاسُ من آدَم ، وآدمُ مـن تُـراب . « يأيُّهـا النـاسُ إنّـا خَلَقنـاكُم من ذكَـرٍ وأُنثـى وجعلنـاكُم شُـعُوبًا وقبـائِلَ لتَعـارَفُوا ، إنَّ

أكْرَمَكُم عِندَ اللّه أتقاكُم » .

يا مَعشَرَ قُرَيش ، ما تَرَونَ أنِّى فاعِلٌ بكم ؟

قالوا :

ـ خيرًا ، أخٌ كريم ، وابنُ أخٍ كريم .

وعفا رسولُ اللّه عنهم جميعا ، عفا عمَّن آذوْه واضطهَدُوه ، وأخرَجُوهُ من ديارِه ، فقال لهم :

ـ اذهَبُوا فأنتم الطُّلَقاء .

وَدَخَلَ الرَّسُولُ وأصحابُه إلى الكعبَة ، وجَعَلُوا يكسِرُون أصنامَها ويقولون :

ـ قل جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِل ، إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا .

ولما تطَهَّرت الكعبَةُ عن الأصنام ، اعتلَى بلال الكعبة ، وراحَ يُؤذِّنُ لأوَّلِ مرَّة فى مكة :

اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبَر ! اللّه أكبَر !
أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أن لا إلَهَ إلاّ اللّه .
أشـهَدُ أنَّ محمَّـدًا رسـولُ اللّـه .. أشـهَدُ أن محمَّـدًا رسولُ اللّه .

حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الصَّلاة .
حيَّ على الفَلاح ، حيَّ على الفَلاح .
اللّه أكبَر ! اللّه أكبَر !
لا إلَهَ إلاَّ اللّه .

ومُنذُ ذلك الوقت ، أصبحَ صوتُ المـؤذِّنِ يجلجـلُ فى الكعبةِ فـى كـلِّ يـومٍ خمـسَ مـرّات ، فقـد هَجَـرَ العـربُ عبـادَةَ الأصنـام ، وأصبَحُـوا يعبُـدونَ اللّـه وحدَه .

القصص الديني

الحلقة الثانية

قصص السيرة

غزوة حنين

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللّهُ فى مَواطِنَ كثيرةٍ ، ويَومَ حُنَينٍ إذ أعْجَبَتْكُم كَثرَتُكم ، فَلَمْ تُغْنِ عَنكُم شَيئا ، وضاقَتْ عَلَيكُمُ الأَرضُ بِما رَحُبَتْ ، ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرِين ، ثمَّ أنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه وعَلَى المؤمِنِين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتشَرَ الإسلامُ فى مكة ، وقَوىَ المسلِمون ، وَبَقِيتْ قبيلَةُ هَوازِن ، وهى قَبيلَةٌ قَوِيَّةٌ تسكُنُ جَنُوبِىَّ مكة ، على دينِها ، ولَمّا كان أهْلُ هَوازِنَ رجالُ حَرْبٍ وقتال ، فكّروا فى أن يُحارِبُوا المسلمين ، فاجْتَمَع رؤساءُ هوازِنَ وثَقِيف ، وتشاوروا فى الأمرِ، وقَرَّرُوا تجهِيزَ جيشٍ قوىّ ، يقضِى على الإسلامِ قبلَ أن ينتَشِرَ فى جَزِيرَةِ العرَبِ كلِّها .

بَلَغَ رسولَ اللّه ﷺ ، اتِّفاقُ هَوازِنَ وثَقِيفَ على مُحارَبةِ المُسلِمين ، فأرسَلَ رجُلاً يَرَى له الأمْرَ ، فما كانَ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يَبْدَأ بالعُدوان ؛ إنَّه لم يُحارِبْ إلاَّ لِرَدِّ الاعتداءِ ، والدِّفاعِ عن النَّفس : فَفِى غَزوةِ بدرٍ جاءَتْ قريشٌ إلى المدينةِ لقتالِه ،

فكان عليه أن يُقاتِلَ دِفاعًا عن المسلمين ، وفى أُحُدٍ جاءَت قريشٌ لتثأرَ لهزيمةِ بدر ، وفى غَزْوَةِ الخَنْدق جاءَت العربُ واليهودُ للقضاء على الإسلام ، فكان يحارِبُ للدفاعِ عن الإسلامِ ، ولَمْ يَبدأْ بالعُدوانِ أبَدا ، فلمَّا عادَ إليه الرَّجُلُ الذى أرْسَلَه ، وأخبَرَهُ أنَّ هوازِنَ وثقيفًا تستَعِدَّانِ لحربه ، أمَرَ بتجهيزِ جيشٍ عظيمٍ حتى لا يُفاجَأَ بالهجومِ عَليه .

وخرَجَ رسُولُ اللّه فى عشْرَةِ آلافِ مُقاتِل ، وانضَمَّ إليهِ أبو سُفيانَ فى ألفَينِ من المُقاتِلين ، وقَدَّمَ أهلُ مكةَ إلى رسولِ اللّه ﷺ أسلِحَةً كثيرة ، فأصبَحَ جيشُه عظيمًا ، يُنزِلُ الرُّعْبَ فى قُلُوبِ أعداء المسلمين .

٢

اجتَمَعَ إلى هَوازِنَ من القبائِلِ جموعٌ كثيرة ، فيهم بنو سَعد ، وهمُ الذينَ كانَ رسولُ اللّه ﷺ

مسترضعًا فيهم ، وحضرَ معهم قائدُهم ، وكانَ شُجاعًا مُجرَّبًا ، ولكنّه كَبِرَ وعَمِي ، وصارَ لا يُنْتفعُ إلاّ برأيه ، وكانَ زَعِيمَ هوازنَ مالِكُ بنُ عَوف ، وكانَ عُمْرُه ثلاثينَ سَنةً ، فكان فيه دَفْعَةُ الشَّباب ، فأمَرَ المقاتِلينَ بأخْذِ أموالِهم ونِسائِهم وأبنائِهم معهم ، فلما جاءَ المحارِبُون ومعهم نساؤهم وأولادُهم وأغنامُهم ، قال زعيمُ بنى سعد متعجِّبًا :

ـ مالى أسمَعُ نهاقَ الحَميرِ ، وبُكاءَ الصغِير ، وخُوارَ البَقَر ؟

فقالوا له : « ساقَ مالِكُ بنُ عَوفٍ مع الناسِ أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهم » .

فقال الشيخُ الأعمى :

ـ أينَ مالِك ؟

فجاءَ إليه مالِك ، فقال الشيخ :

ـ مالى أسمَعُ نُهاقَ الحَمير ، وبُكاءَ الصَّغِير ، وخُوارَ

البقر ؟

فقال له مالِك :

ـ سُقْتُ مع الناسِ أبناءَهم ونِساءهَم وأموالَهم .

ـ ولِمَ ؟

قال مالِك : « أرَدْتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجُل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم » .

فزجَرَه الشيخ ، وطلَبَ منه أن يُبعِدَ النساءَ والأموال ، وقال له : إنّه إذا انتصرَ لا ينفعُه إلاّ رجلٌ برمحِه ، وإذا انهزمَ فُضِحَ في أهْلِه ومالِه .

فقال له مالِك :

ـ واللّه لا أطِيعُكَ ، إنّك قدْ كَبِرْتَ وضَعُفَ رأيُك .

وتركَ الشيخُ المُحَنَّكُ مالكا ، وعاد إلى أهلِ . رَفَضَ مالكٌ أن يستَمِعَ إلى رأيه ، فرفضَ الشيخُ أن

يشترِكَ معه فى القِتـال ، وجعـلَ مـالِكٌ النِّسـاءَ فـوقَ الإِبِلِ وراءَ المُقاتِلةِ صفوفا ، ثم جعلَ الإِبِـلَ صفوفـا ، والبقرَ صفوفا ، والغنمَ صفوفا ، حتى لا يفرَّ الرجـالُ إذا هَجمَ عليهم جيشُ المسلمين .

٣

تَقَدَّمَ جيشُ المسلمين ، وكـان عليـه أن يتقـدَّم فـى مَضيقٍ ضيِّق ، ليصِلَ إلى الوِديـانِ الفسـيحة ، خلْـفَ جبالِ أوطـاس ، حيـث وقـفَ مـالِكٌ ومـن معـه مـن هـوازِنَ وثَقِيـف ، والنِّسـاء والإِبِلِ والبقـرِ والغنــم ، وهذا المَضيقُ هو حُنَين ، وهو مكانٌ مُظلِم ضيِّق ، لا يسمَحُ إلاّ بمرورِ جماعـاتٍ صَغِيرة ؛ وكـانت جوانِبُـه شديدة الانحِدار ، فوقَفَ بعـضُ رجـالِ مـالكٍ علـى الجبال ، ينتظِرُون قُدومَ المسلِمين .

وجاء رجلٌ إلى رسول اللّه ﷺ ، وقال :

ـ إنَّ هَوازِنَ بشبابِهم وأموالِهم اجتَمَعُوا عِندَ حُنين .

فَتَبَسَّمَ ﷺ ، وقالَ فى ثِقَة :

ـ تِلكَ غَنِيمَةُ المسلِمينَ غَدًا إن شاءَ اللّه .

وأعْطَى رسولُ اللّه ﷺ عليًّا لواءَ المهاجِرين ، وأعطَى سعدَ بنَ أبى وَقَّاص راية ، وأعطى عُمَرَ بنَ الخطَّابِ راية ، وأعطى رجُلاً من الأنصارِ راية ، وركِبَ بغْلَتَه ، وأمَرَ جيشَ المسلِمينَ بالتَّقَدُّم ، وكانَ على رأسِ فُرسانِ المسلِمينَ خالِدُ بنُ الوليد .

كانَ الوَقتُ صُبحا ، فكانَ الظلامُ يسودُ مَضيقَ حُنَين ، فَلمَّا تَقَدَّمَ المسلمونَ ليجتازُوا المَضيق ، ألْقَى رِجالُ هوازِنَ عليهم الصخورَ من فَوق الجبال ، ورموهم بالنِّبال ، ثم هجمُوا على المسلمينَ

بأسيافِهم، فرجَعَ المسلمونَ مهزومين .

ساءَ النَّبيَّ ﷺ ، أن يَدِبَّ الخوفُ فى قُلوبِ المسلمين ، وأن يَفِرُّوامذعُورِين ، فَثَبَت ، ووقَفَ معه عليٌّ وأبو بكرٍ وعمُّه العباس ، وأصحابه ؛ ولم يكتَفِ بالثَّبات ، بل تقَدَّمَ وحدَه إلى الأعداء وهو يقول :

أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ.أنا ابنُ عَبدِ المطَّلِبْ . فأسْرَعَ إليه عَمُّه العَبَّاس ، وأمسَكَ بِزمامِ بَغلَتِه ، وراحَ يدعُو المسلِمينَ لنُصْرَةِ رسولِ اللّه ، وكانَ العبَّاسُ جَهِيرَ الصَّوت ، فراح صَوتُه يَرِنُّ فى الوادِى :

ـ يا مَعْشَرَ الأنصارِ الذينَ أوَوْا ونَصرُوا ، يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ الذينَ بايَعُوا تحتَ الشَجَرة ، إنَّ محمَّدًا حيٌّ فهَلُمُّوا .

وخَجِلَ المسلمونَ من فِرارِهم ، وتَركِهم رسولَ

اللّه وحدَه فصاحُوا من كلِّ جانِب :

ـ لَبَّيكَ .. لَبَّيك .

والتَفَّ النّاسُ حولَ رسولِ اللّه ﷺ ، فالتَفَتَ عن يمينِه وقال :

ـ يا مَعْشَرَ الأنصار .

قالوا : « لَبَّيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

والتفتَ عن يسارِه ، فقال :

ـ يا مَعشَرَ الأنصار .

قالوا : « لبيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

وتقدَّمَ المسلِمُونَ يحاربون ، حتى أخْرَجُوا رجالَ هَوازِنَ من ذلك المضيقِ الضيِّق ، ودارت المعركةُ فى السَّهلِ المنبَسط ، فانْقَضَّ خالدٌ وفُرسانُه على أعداء المسلمين يقتُلونَهم ، وراحَ رسولُ اللّه ﷺ يقول :

ـ حم ، لا يُنْصَرُون .

واستَمَرَّتِ المعرَكةُ شديدة : علىٌّ بنُ أبى طالب يضرِبُ الأعداءَ بسيفِه ، وخالدُ بنُ الوليدِ يُذيقُهم الموت . والمسلمونَ يحارِبونَ فى سبيلِ دينِهم ، وبَذلَ رجالُ هوازِنَ ما فى طاقتِهم ليثبُتوا ، ولكنَّ هُجومَ المسلِمينَ كان عنيفا ، فاضطرُّوا إلى الفِرار ، وتَرْكِ النِّساء والأطفالِ والأموال ، لتقَعَ غَنيمةً فى أيدى المسلمين .

٤

وقَعَ فى أيدِى المسلمين أربَعةٌ وعشرونَ ألفَ رأسٍ من الغنم ، وأربَعةُ آلافِ أوقِيةٍ من الفِضَّة ، غيرَ ستَّةِ آلافِ أسير ، وفَرَّ مالِكُ بنُ عَوف ، الذى صَفَّ النِّساءَ والإبِلَ والغَنَمَ وراءَ المقاتِلينَ حتى لا يَفِرُّوا ،

فَرَّ من المعرَكة ، ولم ينفعْهُ رأيُه ، وذهَبَ إلى حُصُونِ الطائِفِ واحْتَمَى بها .

وبلَغَ رسولَ اللّه ﷺ ، أنَّ مالِكَ بنَ عَوفٍ ومن معه دَخَلُوا حصونَ الطائِف ، وأنَّهم أخَذُوا معهم من القُوتِ ما يَكْفِيهِم سَنَة ، فأَمَرَ رِجالَهُ أن يذهَبُوا إلى الطائِف ، لِقتالِ مالِك ، فتَقَدَّمَ خالِدُ بنُ الوليد وفُرسانُه جيوشَ المسلِمين ، حتى إذا بَلَغُوا الحِصْنَ حاصَرُوه ، فأخَذَ مالكٌ ومَن معَه يرمُونَ المسلمينَ بالنَّبلِ ، فأُصِيبَتْ عَينُ أَبي سفيانَ بن حَرْب ، وأُصِيبَ كثِيرٌ من المسلمين .

وتَقَدَّمَ خالدُ بنُ الوليدِ من الحِصن ، وصاح :

- مَن يُبارِز ؟

فَلم ينزِلْ إليهِ أحد ، وصاحَ رجُل :

ـ لا ينزِلُ إليك منّا أحَد ، ولكنْ نُقِيمُ في حِصْنِنا، فإنَّ به من الطّعام ما يكفينا سِنين ، فإن أقَمْتَ حتى يذهبَ هذا الطّعام ، خرجْنا إليكَ بأسيافِنا جميعا ، حتى نموتَ عن آخِرِنا .

وصَنَعَ سَلمانُ الفارِسيُّ المَنجَنيق ، وهو آلةٌ تقذِفُ الحِجارَة الكبيرة ، وراحَ المسلمونَ يرمُونَ الحجارةَ بالمَنجَنيق ، ليهدِمُوا الحِصْن ؛ ودخَلَ بعضُ المسلمينَ تحت دَبَّابَتَين ، وزَحَفُوا بهما إلى جِوارِ الحصنِ ليُحْرِقُوه ، والدَّبَّابَة آلةٌ من آلاتِ الحرب ، يدخُلُ فيها الهاجِمون ، اتّقاءَ سهامِ الأعداء ؛ فَراحَ أهلُ ثقيفٍ يرمُونَ الزّاحِفينَ تحتَ الدَّبَّابَتينِ بقُضبانٍ من حديد ، مُحماةٍ بالنار ، فخرجُوا من تحتِها فرَمَوهم بالنّبل ، فقتِلَ منهم رجالٌ وأُصِيبَ آخَرون .

وطالَ حصارُ الحصنِ ، وسألَ رسولُ اللّه رجُلاً من أصحابِه عن رأيِهِ فى ذلكَ الحِصار ، فقال الرجل:

ـ يا رسولَ اللّه ، ثَعْلَبٌ في جُحْر ، إنْ أقَمْتَ أخَذْتَه ، وإنْ تَركتَه لم يَضُرَّك .

لم يَخرُجْ رسولُ اللّه إلى هَوازِنَ إلاّ لدَفْعِ العُدوان ، إنَّه لا يُرِيدُ قتلَ النَّاس . انتصرَ على هوازِنَ حتى لم يَعُد يخشى أن يَغزُوه ، لذلكَ أمَرَ برفعِ الحِصار ، فأخَذَ المسلمونَ يرحَلُونَ وهم يقولون :

ـ يا رَسولَ اللّه ادْعُ على ثَقِيفٍ أهل الطَّائِف .

لم يكنْ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يدعُوَ على النَّاسِ بالسرِّ ، فما أرْسَلَه اللّه إلاّ لِهدايَةِ الناس وسعادَتِهم ، فَدَعا رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللَّهمَّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مُسلِمِين .

٥

جاءَتِ امرأةٌ أسِيرَةٌ تقولُ للمسلِمين :

ـ أنا أختُ صاحِبِكم .

فكانوا يعجَبُونَ من قَولِها ، فما كانَ لرسُــولِ اللّـه ﷺ إخوةٌ أو أخَوات ، فكانت تقول :

ـ واللّه إنّى أختُ صاحبِكم .

فأخَذُوها ، وأتَوا بها رسولَ اللّه ، فقالت :

ـ أتَعرِفُنِى ؟

فقال لها رسولُ اللّه ، وهو ينظُرُ إليها :

ـ لا أُنْكِرُك ، فمَن أنت ؟

ـ أنا أختُك ، بنت أبى ذُؤيب .

كانت بنتَ حليمَةَ السعدِيَّة ، فهِيَ أختُه من الرَّضاعَة . فقامَ ﷺ لها قائِما ، وبَسَطَ لها رِداءَه ، وأجْلَسَها عَلَيه ، ودَمَعَتْ عَيناه ، وسأَلَها عن حَلِيمَة، وعن زوجِها الحارِث ، فأخْبَرَتْهُ بموتِهما .

وجاءَ وَفْدٌ من هَوازِنَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وأعْلَنُوا إسلامَهم ، ودَخَلُوا فى دِينِ اللّه ، فقَد استَجابَ اللّه دُعاءَ رسُولِه ، يومَ طَلَبَ المسلمونَ منه أن يَدعُوَ على ثَقِيف : « اللّهمَّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مسلمين » .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة تبوك

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انفِرُوا خِفافًا وثِقالا ، وجاهدُوا بأموالِكم وأنفُسِكم فى سبيلِ اللّه ، ذلِكم خَيرٌ لكم إن كنتم تَعلَمون ، لو كانَ عَرَضًا قرِيبًا ، وسَفرًا قاصِدًا لاتّبَعُوكَ ، ولكنْ بَعُدَتْ عليهم الشُقّة ، وسَيحلِفُونَ باللّهِ لو استَطَعنا لَخرَجْنا مَعَكم ، يُهلِكونَ أَنفُسَهم ، واللّهُ يعلَمُ إنّهم لكاذِبُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

رأى هِرَقْلُ إمبراطورُ الرُّوم ، أنَّ الإسلامَ انتشر فى جزيرة العرب ؛ فَعَزمَ على أن يجمَعَ جيشًا لقتالِ المسلمين . كانَ يخافُ أن يبتلِعَ الدينُ الجديد دَولَته ؛ فجمعَ جمُوعًا كثيرةً بالشامِ ، تحتَ العَلَمِ الرُّومانِى ، وكان يَزينُ ذلكَ العَلَمَ نَسْر ؛ وكانت قُوَّةُ جيشِ هِرَقل أربَعينَ ألفًا من خِيرَة مقاتِليه .

وبلغَ رسولَ الله ﷺ ، أنَّ هِرَقْلَ يَجمَعُ الجيوشَ لِقتالِه ، فرأى أن يخرُجَ إلى الشامِ لِيُقاتِلَه هناك ، ولا ينتظِرَ حتى يأتِيَ هِرَقلُ إلى بلادِه ؛ لأنَّه إذا هُزِمَ فى بلاده ، كان فى ذلك القضاءُ عليه وعلى المسلمين . كان الجوُّ حارًّا ، والناسُ فى شِدَّة ، وكان أوانُ جَنْيِ الثِّمار ، فكان الناسُ يُحبُّونَ المَقامَ

فى ثِمارِهم وظِلالِهم ؛ وكان السَّفَرُ بعيدًا ، والعدُوُّ قويّا ، لذلك أخبرَ رسولُ اللّه ﷺ الناسَ أنّه خارجٌ إلى تَبُوك ، ليستعِدُّوا ، وما كانَ يُخبرُهم قبلَ هذِه الغَزْوَةِ إلى أينَ يتوجَّه ، حتَّى لا يستَعِدَّ له أعداؤه .

كانت هذه الغَزْوةُ تحتاجُ فى تَجهيزِها إلى أموالٍ كثيرة ، فَدعا أغنياءَ المسلمينَ إلى النَّفَقَة ، وحَمْلِ الفُقَراءِ ، والإنفاق عليهم ، فَأنْفَقَ عثمانُ بنُ عفّانَ نفقَةً عظيمة ، لم يُنفِقْ أحَدٌ مثلَها ، فإنّه جهَّزَ عشرةَ آلافِ مقاتِل ، فقال ﷺ :

ــ اللَّهمَّ ارضَ عن عثمان ، فإنّى عنه راض .

وجاءَ أبو بكر الصِّدِّيقُ بجميعِ ماله ، أربعةِ آلاف دِرْهم ، وقَدَّمَها إلى رسولِ اللّه ﷺ ، فقال له الرَّسول :

ــ هلْ أبْقَيتَ لأهلِكَ شيئا ؟

فقال أبو بكر فى إيمان :

ـ أبْقَيتُ لَهمُ اللّهَ ورسولَه .

وجاءَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، بِنِصْفِ مالِه ، فقال له الرَّسول :

ـ هل أبْقَيتَ لأهلِكَ شيئا ؟

فقال عمرُ بنُ الخطَّاب :

ـ النِّصفَ الثانى .

وأرسَلَ المسلمونَ إلى رسولِ اللّه ﷺ أموالاً كثيرة لِيُجَهِّزَ بها الجيشَ الخارجَ لقِتالِ الرُّوم ، وبعَثتِ النساءُ بكلِّ ما يقدِرْنَ عليه من حُلِيِّهن ، وأخَذَ رسولُ اللّه يُنفِقُ هذه الأموالَ فى إعدادِ الجيش ، الذى سُمِّىَ جيشَ العُسْرة ، لأنه تكوَّن فى سَنةٍ شديدةٍ عَسيرة .

٢

استعدَّ جيشُ المسلمينَ للخروج ، فجاءَ سبعةُ رجالٍ إلى رسولِ اللّه ، يسألونَه أن يحملَهم ، فقال لهم الرسول :

ـ لا أجِدُ ما أحمِلُكُم عليه .

لم يكن عِندَه جِمالٌ أو بِغالٌ يحملُهم عليها ، فحزِنَ الرِّجال ، كانوا يُريدونَ أن يُحاربُوا فى سبيلِ اللّه ، ولكنهم لم يجدوا ما يخرجونَ للقتالِ عليه ، وزاد حزنُهم ، حتى إنهم تركُوا النَّبىَّ ﷺ وهم يبكونَ حُزنا . وقبل أن يخرُجَ النبىُّ إلى القِتالِ وجَدَ ما يحملُهم عليه ، فأرسلَ إليهم ، وأعطاهم جِمالا ركبوها ، وانطلقوا مسرورين .

وعَقَدَ رسولُ اللّه ﷺ الألويةَ والرَّايات ، فدَفَع

لِواءَه الأعظَمَ لأبى بكـر الصِّدِّيق ، ورايَتـه العُظمَـى للزُّبَيرِ بنِ العَوَّام ، ودَفَـعَ راياتٍ أخـرى للأنصـار .

وقبلَ أن يسيرَ النبـىُّ ﷺ ، بلغَـه أنَّ بعـضَ الرجـالِ من المسلمينَ قد اجتمعوا في بيـتِ رجـل يَهـودِىّ ، وراحوا يقولون :

ـ لا نخرجُ فى الحرِّ لقتالِ الرُّوم .

فأنزَلَ اللّه فيهم :

ـ ﴿ قـل نـارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَـرًّا لـو كـانوا يفقَهـون ﴾ (أى يعلمون) .

وسـارَ جيـشُ المسلمينَ فـى الصحـراء . كـانت الحرارةُ شديدةً تشوِى الوُجُوه ، فكان بعضُ الرِّجـال يتخلَّفُونَ ويعودونَ إلى المدينة ، حيثُ الظِّـلّ ، فكـانَ المسلمونَ يقولون لرسولِ اللّه ﷺ :

ـ تخلَّفَ فُلان .

فيقُولُ الرسول :

ـ دعوه ، إن يكُ فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه اللّه بكم .

واستمرَّ الجيشُ فى سَيرِه فى الصَّحْراء ، ليالِىَ وأيَّاما حتى نَفِدَ الماء ، واستبدَّ العَطَشُ بهم ، حتى كادَ يقطَعُ رقابَهم ، فاضطُرُّوا إلى ذبحِ إبلِهم ، وشقِّ كُروشِها ، وشُربِ ما فيها من ماء ، واشتدَّ الكَربُ بالناس ، فجاءَ أبو بكر إلى رسول اللّه ﷺ ، وقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، قدْ عوَّدَكَ اللّهُ من الدُّعاء خَيرا ، فادعُ اللّه لنا .

قال رسول اللّه ﷺ :

ـ أتُحِبُّ ذاك ؟

قال أبو بكر : « نعم » .

فراح رسولُ اللّه يدعو اللّه ، ورفَعَ يديه بالدُّعاء ، فلم يُرجعْهما حتى أرسلَ اللّه سحابة ، فأمطرتْ حتى شرِبَ النَّاس ، وأخذُوا ما يحتاجُونَ إليه من ماء .

وسارَ الجيشُ فى اللَّيل ، ونالَ الناسَ التَّعب ، ولكنهم لم يناموا ، لأنَّ الفجرَ قد اقْتَرَب ، وكانوا

يُريدونَ أن يُصلُّوا الفجر ، وقال لهم بلال :

ـ نامُوا وأنا أوقِظُكُم .

فاضطجعُوا ، وراحُوا فى النَّوم ، وغلبَ النَّومُ بلالا ، فلم يوقِظ الناسَ فى الفجر ، فلما استيقظَ رسولُ اللّه دعا بلالا ، وقال له :

ـ يا بلال ، أين ما قلت ؟

فقال له بلالٌ معتذرا :

ـ يا رسولَ اللّه ، ذهبَ بى مثلُ الذى ذهبَ بك .

ولم يغضبْ رسولُ اللّه وقام يُصلِّى بعدَ أن فاتَه الفجر ، وقام المسلمونَ يصلُّون ، ولمّا انتهَوا من صلاتِهم ركبوا جمالَهم وساروا ، ولاحَظَ رسولُ اللّه ﷺ أن النّاسَ يتهامَسون ، فقال :

ـ ما هذا الذى تَهمِسُونَ دُونى ؟

فقالوا :

ـ يا رسولَ اللّه ، نهمِسُ بتفريطِنا فى صلاتِنا .

فقال لهم ﷺ :

ـ أما لكم فيَّ أُسوَةٌ حَسنة ؟ ليس في النَّومِ تفريط ، إنما التَّفريطُ على من لم يصلِّ الصلاة ، حتى يجيءَ وقتُ أخرى .

٣

وصلَ جيشُ المسلمينَ إلى تبوك ، فلم يقابلْ جيشَ الرُّوم . أفزع خروجُ المسلمينَ للقتالِ الرُّوم ، فسحبوا جيوشهم وأبَوا القِتالَ . ولما كان رسولُ اللّه ﷺ لم يخرجْ إلا للدفاع عن المسلمين ، ولم يكن يُريدُ الحربَ لذاتها ، ولا يريدُ إرغامَ الناسِ على الدخولِ في الإسلامِ بالسَّيف ، بقِيَ في تَبُوكَ ولم يتقدَّم ، ولو شاءَ أن يُغِيرَ على الشَّام لكان ذلك سهلا ؛ كان في سبعينَ ألف مقاتِل من المؤمنين .

ومرَّت أيامٌ ورسولُ اللّه ﷺ في تَبُوك يُصلِّي للّه ، وينتظرُ ظهورَ جيش الرُّوم ، فلما وثِقَ من أنهم

لا يعتدونَ عليه ، فكر فى العـودة بعد ذلك التعب الشَّديد ، الذى قاساه المسلمونَ فى قطع الصحراء ، فهو لا يحبُّ أن يبدأ بالعُدوان أحدا .

أمـر رسـولُ اللّـه ﷺ النـاسَ بـالعَودَة ، فركِبُـوا جمـالَهم ، وغـادروا تبـوك ، وفـى الطَّريـق اجتمـعَ رجالٌ ممَّن يُظهرونَ الإسـلام ، ويكرهـونَ الرَّسـول ، وهم المُنافقون ، واتفقُوا على أن يدفعوا رسـولَ اللّـه ﷺ عن ناقتِه ، عند مرورهم بالعقَبَة التـى بين تَبـوكَ والمدينة ، والعَقَبةُ مكانٌ صخْرىٌّ ضيِّقٌ مظلـم ، وقـد اختاروا هذا المكانَ حتى لا يراهم أحد وهم يخونـونَ الرَّسول ، ويدفَعُونَ به إلى الوادى ليَقتُلوه .

وأخـبرَ اللّـه رسـولَه الأَمـينَ بذلـك ، فلمـا وصـلَ الجيشُ إلى العَقَبة ، نادى منادِى رسول اللّه ﷺ :

ــ إنَّ رسـولَ اللّـه ﷺ يُريـد أن يسـلُكَ العَقَبـة ، فـلا يسـلُكها أحـد ، واسـلُكوا بطـنَ الـوادى ، فإنـه أسلكُ لكم وأوسَع .

فسار النَّاسُ في بطن الوادى ، وسار رسولُ اللّه ﷺ في العقَبة ، وكانت مظلمةً هادئة ؛ وكان رجُلان من أصحابه يسيران معه ؛ أحدهما أمام ناقَتِه، والآخرُ خلفَها . وجاءَ الرِّجالُ الذين اتفقوا على الغدر برسول اللّه ، وكانوا ملثَّمين ، يخفونَ وجوهَهُم . وأحسَّ رسولُ اللّه بقربهم ، فصَرَخَ بهم ، فخافُوا وهَرَبُوا بعدَ أن عَلِمُوا أن رسولَ اللّه اطَّلَعَ عَلى مَكْرِهِم به ، واختَلَطُوا بالنَّاسِ الذين كانوا يسيرونَ في الوادِى الواسِع .

وجمعهم رسولُ اللّه ﷺ بعد أن مرَّ من العَقَبة ، وأخبَرَهم بما قالوه ، وبما اتفقُوا عليه ، فحلَفُوا باللّه ما قالُوه ، ولا أرادوا قتلَه ، وأشارَ عليه بعضُ أصحابه أن يقتُلَهم ، فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـــ أكرهُ أن يتحَدَّثَ الناسُ أنَّ محمَّدًا يقتُلُ أصحابَه .

وأنزَلَ اللّه فيهم قرآنا : ﴿ يَحْلِفُونَ باللّه ما قالوا ،

ولقدْ قالوا كلِمةَ الكُفرِ ﴾ .

٤

وبنى المنافقونَ مسجدًا بجوارِ مسجدِ قُباءٍ ، الذى بناهُ رسولَ اللّه ﷺ أوَّلَ ما جاءَ إلى المدينة . كانوا يجتمعُونَ فيه ، ويَعِيبُونَ النبىَّ ﷺ ، ويستهزِئونَ به ، وكانوا يُريدونَ أن يجمَعُوا فى هذا المسجدِ السِّلاح ، ثم ذهبُوا إلى قَيصرَ ملكِ الرُّوم ، يطلبونَ منه أن يُمدَّهم بجنْد ، يساعدونهم على إخراج محمد ﷺ وأصحابه من المدينة .

وفى أثناء عودةِ الرسول من تَبوك ، مرَّ بهذا المسجد ، فطلبَ المنافقونَ منه أن يصلِّى فيه ، فأوحَى اللّه إليه : « والذينَ اتَّخَذُوا مَسجدًا ضِرارًا وكُفرًا وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ ورسولَه من قَبل ، ولَيَحلِفُنَّ إن أردنا إلا الحُسنَى ،

واللّه يشهَدُ إنَّهم لكاذِبون ، لا تَقُمْ فيه أبَدًا ، لَمَسجدٌ أُسِّسَ على التَّقوى من أوَّلِ يوم أَحَقُّ أن تَقومَ فيه ، فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطهَّرُوا ، واللّه يُحبُّ المتطهِّرين » .

فدعا رسولُ اللّه ﷺ بعضَ أصحابه ، وأمَرَهم أن يذهَبُوا إلى هذا المسجد ، الظالِمِ أهلُه ، ليُحرِّقُوه بالنار ، فذهَبَ أصحابُه إليه وحَرَّقوه ، لأنَّه لم يكن مسجدًا للّه ، بل كان المنافقونَ يُدبِّرُونَ فيه الكَيدَ للإسلامِ والمسلمين .

٥

دخلَ رسولُ اللّه ﷺ المسجدَ فى المدينة ، وصلّى ركعَتَين ، ثم جلسَ للناس ، فجاءَ إليه الذين تَخَلَّفُوا عن الخُروجِ معه ، فأخذُوا يعتذِرونَ إليه ، ويحلِفُونَ له أنَّ العُذْرَ منعهم ، فقبِلَ منهم ما أعلَنوه ، لأنه كان يقبَلُ ما يعلِنُه الناس ، ويترك للّه ما يُخفُونَ فى صُدورهم . وجاءَ كعبُ بنُ مالك ، وكان رجُلاً من خِيارِ الأنصار ، ولكنه لم يخرج معه فى غزوةِ تَبُوك ، فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ــ تعالَ ، ما خَلَّفَك ؟

لم يشأْ مالِكٌ أن يَعْتَذِرَ بالكذِب ، كان رجُلاً طيِّبا ، يعلمُ أنَّ اللّه يكرهُ الكذّابين ، فقال :

ــ لا واللّه ، ما كان لى عُذْر ، وواللّه ما كنتُ قَط

أقوى ولا أيسرَ منّى حينَ تخلّفتُ عنك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أمَّا هذا فقد صَدَق ، فقم حتّى يقضِىَ اللّه فيك .

وجاءَ اثنان صادِقان إلى رسول اللّه ، فقالا له إنهما ما كان لهما من عُذْر فى تَخَلّفِهما عنه ، فأمرَ رسولُ اللّه الناسَ ألاّ يُكلّموا هؤلاء الثلاثة ، حتى يقضِىَ اللّه فيهم .

لم يُكلِّمهمُ الناس ، وظلُّوا يبكونَ ندما ، ومرَّت خمسونَ ليلة ، ولم يُكلِّمهم أحد ، فضاقَت عليهم الدنيا ، واشتدَّ الكربُ بهم ؛ وفيما هم فى شدَّتهم ، جاءَ الناسُ يُهَنّئُونَهم ، فقَدْ أنزَلَ اللّه فيهم قُرآنا ، وتاب عليهم ، وعفا عنهم .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

حجة الوداع

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

فتح محمدٌ ﷺ مكّة ، وأسلمتْ قُرَيش . ثم خرج لقتالِ الرُّوم لمّا بلَغَهَ أنّهم يُريدونَ الاعتداءَ عليه ، ولكنَّه عادَ دون حرب . وجدهم قد هابُوا خروجَه إليهم ؛ وبذلك أصبحَ رسولُ اللّه ﷺ أقوى رجل في جزيرة العرب ، فجاءت إليه القبائلُ تُعلِنُ إسلامَها طَوْعا . لم يضطرّهم أحدٌ إلى الدخولِ في الدّين الجديد ؛ وَجَدُوه دينًا قويمًا فأسْلمُوا له . وسُمِّيَ هذا العامُ عامَ الوُفود ؛ وقد أنزل اللّه سورةَ النَّصر بعد إسلامِ القبائل :

بسمِ اللّه الرحمن الرَّحيم

﴿ إذا جَاءَ نَصْرُ اللّه والفَتْح * ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلونَ في دين اللّه أفواجا * فسبِّحْ بحمْدِ ربِّكَ واستغْفِره إنّه كان توَّابا ﴾ .

كان لكلِّ قبيلةٍ صنمٌ تعبُده ، ولما كان الإسلامُ قد جاء ليدعوَ إلى عبادةِ اللّه وحده ، رأى رسولُ اللّه ﷺ أن يُرسِلَ بعضَ صحابتِه إلى الأصنام ، ليُحطِّموها ويُحْرِقوها ، حتّى يعبدَ النّاسُ اللّه وَحْدَه ، لا يُشركونَ به شيئا .

أسْلَمَتْ ثَقِيف ، وكانت قبيلةً تنزلُ الطّائف ، وتعبدُ اللّات ، وهي صخرةٌ مرتفعة ، يذبحونَ الذّبائح عندها ، ويعظّمونها ؛ فأرسَلَ رسولُ اللّه ﷺ أبا سفيان بنَ حرب ، والمغيرةَ بنَ شُعبة ، لهدمِ اللّات . فلما وصلا إلى الطّائف ، قالَ المغيرةُ لأبى سُفيان :

ـ تقدَّمْ لهدمِ الصَّنم .

كان أبو سفيانَ يعلمُ أنَّ بعضَ النّاسِ لا يزالونَ يُعظّمون الصَّنم ، فخشىَ أن يَعتدوا عليه إذا ذهب لتحطيمه .

ولما كان المغيرةُ من ثقيف ، قال له أبو سفيان :

ـ ادخُل أنت على قومِك .

ودخل المغيرةُ على قومِه ، وقال لهم إنه قد جاء لهدمِ الّلات ، فأرادوا أن يمنعوه ، خشيْةَ أن يقتلَه الّذين يعظّمون الصنّم ، ولكنّ المغيرةَ أبى أن يسمعَ لهم ، وذهب إلى الصَّنم وقد حمل فأسا .

ذاع فى الطّائفِ أنَّ المغيرةَ جاءَ يُحطِّم الّلات ، فخرجتِ النِّسوةُ مكشوفاتِ الرُّءوس يبكينَ الصنَم ، وخرج بعضُ الرِّجالِ ينظرونَ فى خوف ، كانوا يظُّونَ أن الصَّنَمَ سينتقِمُ من المغيرة .

وأرادَ المغيرةُ أن يسخَرَ من هؤلاء الجُهَّال ، الّذين يحسَبون أنَّ حَجَرًا لا نفعَ له ولا قوَّة ، يستطيعُ أن يمنعَ أحدًا من تحطيمِه ، فقال لأصحابه :

ـ لأضْحكنّكُمْ منهم .

وصعِدَ المغيرةُ ليحطِّم الصَّنم ، فراح النّاسُ ينتظرون وهم يرتجفونَ خوفا ؛ كانوا يخافونَ ثورةَ الصَّنم . ولما ارتقاهُ المغيرة ، تظاهرَ بأنّه سقط من

فوقِه ، فصاحَ النّاس :

ـــ مَنَعتِ الّلاتُ المغيرةَ من أن يهدِمَها ، واللّـه لا يستطيعُ هدمَها ، صَرَعَتِ الّلاتُ المغيرة .

وفرِح الرِّجال ، وسُرَّتِ النِّسوة ، وقالوا للمغيرة :

ـ ألم تعلمْ أنّها تُهلكُ من عاداها ؟

فقام المغيرةُ يضحكُ منهم ، ويقولُ لهم :

ـ واللّه ما قصدتُ إلاّ الهُزْءَ بكم .

ثم قام إلى اللاّت وحطّمها بالفأس ، وأشعلَ فيها النار بعد أن أخذ مالَها وحُلِيَّها . ولما رأى النّاسُ أنّ الصَّنمَ الّذى كانوا يعبُدونه من دون اللّه قد تحطّمَ وصار رَمادا ، لا يستطيع أن يَحْمىَ نفسَه ، عجبوا من غفلتهم ، وزادهم ذلك إيمانًا برسالةِ رسولِ اللّه ﷺ وتثبيتا .

٢

جاء أوانُ الحجّ ، وعلِمتِ القبائلُ أنّ رسولَ اللّه ﷺ ، خارجٌ إلى مكّةَ ، ليُؤدّىَ فريضةَ الحَجّ ، فأقبلتِ الوفودُ على المدينةِ أفواجًا أفواجا ، وضُربَتِ الخيامُ حولَ المدينةِ ، لمائةِ ألفٍ أو يزيدون ، ينتظرونَ الخروجَ إلى بيتِ اللّه ، مع رسولِ اللّه ﷺ .

وتجهّز النّاس ، وخرج الرّسولُ معه نساؤه ؛ كنَّ فى هوادِجهنّ والتفَّ حوله صحابتُه الأوائل ، الّذين جاهدوا معه فى سبيلِ الإسلام ؛ كان حولَه أبو بكر وعُمَر وبلال والمهاجرون ؛ ولم يظهرْ بينَهم علىٌّ بنُ أبى طالب ، لأنَّ رسولَ اللّه ﷺ قد أرسلَه إلى اليمن ، يدعو أهلَها إلى الإسلام .

وارتفع صوتُ بلال مُؤذّن الرّسول يدعو النّاسَ إلى الصَّلاة :

اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر !
أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّه ، أشهدُ أن لا إله إلا اللّه .

فصلى رسولُ اللّه ﷺ الظُّهر بالنّاس ، صلاَّةُ أربعَ ركعات ، ولّما انتهتِ الصَّلاة ، ركِب ناقَته القصواء ، وسار ، وسارت جُموعُ النَّاسِ خلفَه ، وتذَّكر المهاجرونَ يومَ جاءوا إلى المدينةِ هاربين ، يومَ كانوا قلّةً مُضطهَدين ، ورأوْا الجموع الهائلةَ تسيرُ خلفَ الرَّسولِ جماعات ، فامتلأتْ قلوبُهم غِبطة ، وشكروا اللّه الّذى أيَّدهم ونصرَهم ، فصدقَ وعدَه .

لم يكنِ الْحُجّاجُ يحملونَ معهم أسلحة ، ولماذا يحمِلونَها ! لقد أصبحتِ البلادُ كلُّها تدينُ بالإسلام ، وانتهت العداوة ، وَلَم يعُد هناك حاجةٌ لحمل السيُّوف ، فما كان رسولُ اللّه ﷺ يلجأُ إلى السَّيف ، إلاّ ليدافعَ عن نفسِه ، ويحمىَ دينَ اللّه من الاعتداء ؛ إنه لا يعتدى ، لأَنّه يعلمُ أنَّ اللّه لا يُحبُّ المعتَدين .

واستمرَّ الناسُ في سيرهم ، حتّى إذا جاءَ العصْر ، صَلُّوهُ خلفَ النّبيِّ ﷺ ركعتَين ، وهـذه الصلاةُ القصيرةُ تُصلّى في السَّفر ، تخفيفًا عن المُسافر .

ونَزَلَ النّاسُ يستريحونَ ويبيتونَ ليلتَهم ، ولّما جاءَ الصَّباح ، ركِب النبيُّ ناقَتَه ، وركِب النّاسُ جمالَهم ، وقبلَ أن يسيروا قال رسولُ اللّه ﷺ لهم :

ـ جاءني جبريلُ فقال : يا مُحمَّد ، مُرْ أصحابَك ، فليرفعوا أصواتهم بالتَّلبية ، فإنها شعارُ الحَجّ .

ونادَى محمَّدٌ ملبِّيا :

ـ لبَّيك اللهمّ لبَّيك ، لبَّيكَ لا شريكَ لك ، إنَّ الحمدَ والنِّعمَةَ لك ، والمُلكَ لك ، لا شريكَ لك .

فارتفعتْ أصواتُ المُسلمينَ بالتَّلبيةِ خلفَه ، وتجاوَبَ الفضاءُ بالنِّداء .

واستمرَّ النَّاسُ في سيرِهم ، حتى بلغوا مكّةَ بعدَ أيّامٍ وليال ، فلمّا رأى النَّبيُ الكَعبة ، رفع يدَه وقال :

ـ اللّهمَّ زِدْ هـذا البيـتَ تشـريفًا وتعظيمًا ومهابـةً وبرّا ، وزدْ من شرّفَهُ وكرّمه ، ممّنْ حجّه أو اعتمرَه ، تشريفًا وتكريمًا وتعظيما وبرّا .

وأحسَّ الرسولُ أنّه لا يقوَى على أن يطوفَ حولَ الكعبةِ على قدميه ، فطافَ علـى راحلتِه القَصْـواء ، واستقبلَ القبلةَ ، وقال :

ـ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، لهُ الملكُ ولهُ الحمْد ، وهو على كلِّ شـيء قديـر ، لا إلـهَ إلاَّ اللّـهُ وحدَه ، أنجزَ وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزَمَ الآحـزابَ وحدَه .

وسـار الرسـولُ والْحُجّـاجُ خلفـه إلى عَرفـات ، وعَرفاتُ ليستْ جَبَلا ، بل هي صخرةٌ واسِـعَة على ارتفاعِ مائتى قدم ، وقد بلغـتْ ناقـةُ الرسـولِ قِمَّتَهـا فـى سُـهولة . وقـام رسـولُ اللّـه ﷺ ، يُصلّـى فـى عَرَفات ؛ واصطفَّ آلافُ الْحُجّاج خلفَـه يُصلُّـون ،

ولما انتهى من صلاتِه ، نـزلَ عليـهِ الوَحى يُعلنـه أنّـه أدّى رسالةَ ربِّه ، وأنَّ دينَ الإسلامِ قد اكتَمل ، فقرأَ النّبيُّ ﷺ على النّاسِ ما أُوحِيَ إليه :

﴿ اليومَ أكملتُ لكـم دينكـم ، وأتممـتُ عليكـم نِعمتى ، ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ دينا ﴾ .

ونظر عُمَرُ إلى النّبيِّ ﷺ وبكـى ، فـالتفتَ النّـاس إليه فى دَهَش ، وقالوا : ما يُبكيك ؟

شعر عُمَرُ أنَّ النّبـى ﷺ أدَّى رسـالة ربِّـه ، وأنّ ذلك دِلالةٌ على قُربِ وفاةِ الرسول ، فحزَّ ذلك فـى نفسِه ، وجرتِ الدموعُ من عينيه ، وقال فى حُزن :

ــ ليسَ بعد الكمالِ إلا النُّقصان .

٣

عاد الْحُجّاجُ إلى مِنىً وهم يُلبُّون :

ــ لبَّيك اللّهمَّ لبَّيك . لبَّيكَ لا شريكَ لكَ لبَّيك .

واقترب الْحُجّاجُ من مِنى ، وأخذوا يرمُونَ صخرةً هُناك بالحَصى ؛ ففى هذا المكان ، قابلَ سَيِّدُنا إبراهيمُ وهو ذاهبٌ ليذبح ابنه إسماعيل ، إبليس ، فرماه بالحَصى ، ويُعرفُ هذا فى الحجّ ، برمىِ الجَمَرات .

وجىءَ بالإبلِ والغنمِ فذُبحت ، وأخذَ النّاسُ يقصُّون شَعْرَهم وأظفارَهم ، وخلعُوا الثِّيابَ البيضَ الّتى كانوا يلبَسونها ، وهى ثيابُ الإِحرام ، ولبِسوا ثيابَهم ، ووُزِّعت لُحومُ الاضْحِياتِ على الناس .

وفى اليوم الثّالث ، ركِب رسولُ اللّه ﷺ ناقَته ، ووقفَ فى وادى مِنَى ، وخطبَ فى النّاس :

ـ أيُّها النَّاس ، اسمَعوا قولى ، فإنّى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبدا .

أيُّها الناس إن دماءَكم وأموالَكم عليكُمْ حرام ، إلى أن تلقَوْا ربَّكم ، كحُرمةِ يومكم هذا ، وكحُرْمةِ شهرِكم هذا ، وإنّكم ستلقَون اللّه فيسألُكُم عن أعمالِكم ، وقد بلّغت . فمن كانت عندَه أمانةٌ فلْيُؤدِّها إلى من ائتمنَه عليها . وإنَّ كلَّ رِبًا موضوع ، ولكن لكم رءوسُ أموالِكم ، لا تظلِمون ولا تُظلَمون . وإنَّ كلَّ دمٍ كان فى الجاهليةِ موضوع . أما بعد ، أيُّها النَّاس ، فإن الشيطانَ قد يئِسَ أن يُعبَد بأرضِكم هذه أبدًا . ولكنّه يطمعُ فيما سوى ذلك ، فقد رضيَ به مما تُحقّرون من أعمالِكم ، فاحذروه على دينِكم .

أما بعد أيُّها النّاس ، فإن لكم على نسائِكم حقّا ، ولهنَّ عليكُم حقّا ، فاستوصُوا بالنساءِ خيرا ، فإنهنَّ

عندكم عوَان ، لا يملِكن لأنفسِهنّ شيئا .

فاعقلوا أيها النّاسُ قوْلى ، فإنى قد بلّغت . وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به ، فلن تضلوا أبدا ، أمرًا بيِّنا : كتابَ اللّه وسنّةَ نبيِّه . أيُّها النّاس ، اسمعوا قولى ، واعقِلوه ، تَعلمُنَّ أنَّ كلَّ مسلمٍ أخٌ للمسلم ، وأنَّ المسلمينَ إخْوَة ، فلا يحِلُّ لامرىء من أخيه إلاّ ما أعطاهُ عن طيبِ نفسِ منه ، فلا تظلِمُنَّ أنفسكُم ، اللّهمَّ قد بلّغت .

فصاح الناس :

ـ اللّهمَّ نعم .

فرفع رسولُ اللّه ﷺ وجهَه إلى السَّماءِ وقال : اللّهمَّ اشْهَد .

ولما كانت هذه آخرَ خُطبةٍ خطبها رسولُ اللّه ﷺ

قبلَ موتِه ، سُمِّيت خطبةَ الوَداع .

٤

انصرف الحُجّاج ، فقدِ انتهى الحجّ ، وأخذ النبىُّ ﷺ أزواجَه ، وعاد بهنَّ إلى مكة ، وبقِىَ النّاس ثلاثةَ أيام ، ليستعِدّوا للعودة إلى المدينة ، وفى ذاتِ ليلة جلسَ النَّبىُّ ﷺ يفكّر ، إنه أتمَّ رسالةَ ربِّه ، ودخل النَّاسُ فى دينِ اللّه أفواجا ، وتذكر أيّامَ اضطهادِه وتعذيبه ، فخطرتْ على ذهنِه خديجة ، زوجتُه الّتى صدَّقتْه لمّا كذّبه الناس ، وآزرته وشجَّعته وواسته ، حتى استطاعَ أن يبلّغَ رسالاتِ ربِّه ، فأحسَّ رغبةً فى أن يذهبَ إلى قبرِها يزورُها ، وفى

سكونِ الليلِ ترك أصحابَه ، وركِب بغلَته ، وسار إلى المقابر ، حتى إذا أتى قبرَ خديجة ، نزل عن بغلتِه ، وجلس بجوارِ القبر ، يفكّر فى الزوجةِ التى عاونتهُ بمالها ، وأحاطتْه بعطفِها ، ولم تُرهقْه بثرثرتها ، الزوجةِ التى كان لها الفضلُ الأوّلُ فى هذا النَّصرِ العظيمِ الّذى ناله .

وقام رسولُ اللّه ﷺ وركِب بغلتَه ، ليعودَ إلى مكّة ، وغاب فى الظلام ؛ كان فى طريقهِ لِيُوَدِّع الدُّنيا ، بعد أن أتمَّ رسالتَه ، وودَّع الناس .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

النبي الصالح

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

قَدِمَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة ، فجاءَ رجلٌ من الأنصار وفى يده غُلام ، وقال له :

ـــ يا رسولَ اللّه ، إنَّ أَنَساً غُلامٌ كَيِّس ، فليخدُمْكَ .

فَراحَ أنسٌ يخدُمُ النبيَّ فى سَفَرِهِ وفى إقامَتِه ، فيزدادُ حُبًّا له ؛ كان رسولُ اللّه ﷺ رحيمًا به شَفِيقا ، وفى ذاتِ يوم ، أرسلَه رسولُ اللّه لحاجة ، فخرَجَ أَنس ، ومرَّ على صِبيانٍ وهمْ يلعَبونَ فى السُّوق ، فوقَفَ يلعَبُ معهم ، ولم يذهبْ إلى حيثُ أمَرَهُ رسولُ اللّه ﷺ .

ومرَّ الوقت ، وخرجَ رسولُ اللّه إلى السُّوق ، فرأى أنسًا يلعب ، فذهَبَ إليه ، وقَبَضَ بقَفاهُ من ورائِه ، فَنَظَرَ أنَسٌ خائِفا ، فرأى رسولَ اللّه يضحك ، ويقول له :

ـ يا أَنَس ، ذهَبْتَ حيثُ أمَرْتُكَ ؟

فقال له أنس :

ـ نعم ، أنا ذاهبٌ ، يا رسولَ اللّه .

وذهبَ أنس ، ولم يَنهَرْه النبيُّ ﷺ . لقدْ خَدَمَه أنسٌ تسعَ سِنِين ، وما قالَ له لشيء صنعَه : لِمَ صَنَعتَ هذا ؟ ولا لشيء لم يصنَعه : لِمَ لمْ تصنعْ هذا ؟ وإذا لامَ أحدٌ من أهلِهِ أنَسا ، قال له :

ـ دعُوه ، لو قَدَرَ أن يكونَ كان .

فقدْ كان رسولُ اللّه ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقا .

٢

وكانَ رسولُ اللّه ﷺ رحيما ؛ يرحَم الضُّعَفاء ، ويُحِبُّ الأطفال .... حتّى إنّه كان يخرُجُ إلى النّاس ـ إذا جاءَ أوانُ الصَّلاة ـ وعلى عاتِقِه طِفلٌ أو طِفلةٌ من أبناءِ أصحابِه ، ويُصلّي والطِّفلُ على كَتِفِه ، فإذا ركَعَ وضَعَه ، وإذا رفَعَ رَفَعَه .

وفي ذاتِ يومٍ ، دخَلَ عليهِ بعضُ الرِّجال ، وهو جالِسٌ وفي حِجْرِه الحسَنُ بنُ عليّ ، يضُمُّه في رِفْق ، ويُقَبِّلُهُ في حَنان ، فأنكَرَ الرِّجالُ منه ذلك ، حتّى إنَّ أحدَهم قال :

ـ إنَّ لى عَشرةً من الوَلَد ، ما قَبَّلتُ منهم أحَدا !!

فَنَظَرَ إليه رسولُ اللّه ﷺ ، وقال :

ـ مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ .

وقال له أعرابىٌّ فى إنكار :

ـ تُقَبِّلونَ الصِّبيان ، فما نُقَبِّلُهم !!

فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أَوَ أمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللّهُ من قلبك الرَّحمة ؟

كان رحِيما ، حتّى إنّه كانَ يأخُذُ أُسامةَ بنَ زيد ؛ ابنَ مَولاه ، فَيُقعِدُه علَى فَخذِه ، ويُقْعِدُ الحَسَنَ على فخذِه الأخرى ، ثمَّ يضمُّهُما ، ثمَّ يقول :

ـ اللّهُمَّ ارحَمهُما ، فإنّى أرحَمهُما .

٣

وكانَ يَعطِفُ على الحيوان ، ويَحُضُّ المسلِمينَ على العَطفِ عليه ... كان رءوفًا بناقَتِه العَضْبَاء ، وببَغْلَتِهِ دُلْدُل . وكانَ يُوصِي أصْحابَهُ بالحَيَوانِ خَيرا ، حتّى إنّه قال لهم ذاتَ يوم :

ـ بَينَما رجُلٌ يمْشِي بِطَرِيقٍ اشتَدَّ عليهِ العَطَش ، فوجَدَ بئرا ، فَنَزَلَ فيها فشرِب ، ثمَّ خَرَج ، فإذا كلبٌ يلْهَث : (يُخرِجُ لِسانَه من العَطَش) ، يأكُلُ الثَّرَى : (التراب) من العَطَش ، فقال الرجل :

ـ لقدْ بَلَغَ هذا الكلْبَ من العطش ، مثلُ الذى

بَلَغَ بى .

فَنَزَلَ البئر ، فملأَ خُفَّه ، ثم أمْسَكَهُ بفيه ، فَسَقَى الكلب ، فَشَكَرَ اللّه له ، فغفرَ له .

فقال أصحابُ الرسول :

ـ يا رسولَ اللّه ، وإنَّ لَنا فى البَهائِم أجْرا ؟

فقال لهم ﷺ :

ـ فى كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطبَةٍ أجر (أى فى كل ما تَدِبُّ فيه الحياة) .

٤

وكان رَءُوفًا بالضُّعَفاء ، يأمُرُ أصحابَه بِرعايَتهم ؛ وفى ذاتِ يوم ، جاءَ إليه رجُلٌ يشكو من أنَّه

لا يَستَطيعُ أن يُصلِّيَ في جماعةٍ مع الناس ، لأنَّ الإمامَ يُطِيلُ الصَّلاة ، وهو ضَعِيفٌ لا يستطِيعُ أن يَحتَمِلَ الوقوفَ الطَّويل ، والرُّكوعَ الطَّويل ، قال الرَّجُل :

ـ يا رسولَ اللّه ، أكادُ أتْرُكُ الصَّلاة ، مما يُطَوِّلُ بنا فُلان .

فَغَضِبَ النبيّ ، فهو ما جاءَ إلا رَحمةً للنَّاس ، وما كان يقبلُ أن يُعذّبَ الضُّعَفاءُ الرَّاغبونَ في صلاةِ الجماعة ، فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ يا أيُّها النَّاس ، إنَّكم مُنَفِّرُون ، فَمَنْ صلَّى بالنَّاس فلْيخَفِّف ؛ فإنَّ فيهم المريضَ ، والضَّعيفَ ، وذا الحَاجَة .

٥

وكـان رسـولُ اللّـه ﷺ كريمـا ، فكـان إذا وجَـدَ مًحتاجًـا أرسَـلَه إلى بـلال ، وكـان خازنَـه ، ليطعِمَـه ويكسُوَه ، وفىْ ذاتِ يـوم ، دخـل رسـولُ اللّـه ﷺ على بلال ، وعِندَه صُرَّةٌ من تَمْر ، فقال له :

ـ ما هذا يا بلال ؟

فقال له بلال :

ـ يا رسولَ اللّه ، ادَّخرتُه لك ولِضِيفانِك .

فقال له رسول اللّه ﷺ :

ـ أما تَخشَى أن يكونَ له بُخـارٌ فـى النّـار ؟ أنْفِـقْ بِلالُ ولا تَخْشَ من ذى العرشِ إقلالا .

وكان يُعطِي السَّائلينَ مُستَبشِرا ، لا يَنهَرُهم وإن آذَوه . كان يَمشِي مرَّةً مع خادِمِه أَنسِ بنِ مالِك ، وكان على النبيِّ ﷺ رِداءٌ غَلِيظُ الحاشِيَة ، فجاءَ أعْرابِيّ ، وجَذَبَ رِداءَهُ جَذْبَةً شديدة ، أَثَّرَتْ فى عُنُقِ الرَّسولِ وآلَمَته ، وقالَ الأعرابيّ :

ـ يا محمد ، مُرْ لِى من مَالِ اللّه الذى عِندَك .

فالتَفَتَ إليه رسولُ اللّه وهو يضحَك . لم يَثُرْ ولم يَغْضَب ، وأمَرَ للرَّجُلِ بِعطاءٍ حَمَلَه وانصَرَف شاكرا .

وكانَ لا يَرُدُّ سائِلا ، ولا يَتْرُكُ مُحْتاجَا دونَ أن يُعاوِنَه ؛ خَرجَ يومًا ومَعَه عشرةُ دراهم ، فذهَب واشترى قَمِيصًا بأربعةِ دراهِم ، فخرجَ وهو عليه ، فإذا رجلٌ من الأنصارِ يأتِي إليه ، ويقول :

ــ يا رسولَ اللّه ، اكْسُنِي قميصا ، كساكَ اللّه من ثِيابِ الجنّة .

فَنَزَعَ القميصَ فكساهُ إياه ، ثم رجَعَ واشترى قميصًا بأربعةِ دراهِم ، وبَقِي معه دِرهَمان ، وسارَ وإذا بجاريةٍ في الطَّريق تبكى ، فقال لها :

ــ ما يُبكيك ؟

فقالت له وهى تبكى :

ـ يا رسولَ اللّه ، دفع إلىّ أهلِى دِرهَمَين أشتَرِى بهما دَقِيقًا فَهَلَكا (فُقِدا) .

فدَفَعَ إليها رسولُ اللّه ﷺ الدِّرهَمَينِ الباقِيَين ، وهَمَّ بالانصِراف ، فإذا بها تَبكِى ، فدعاها وقال لها :

ـ ما يُبكيكِ وقَدْ أخَذْتِ الدِّرهَمَين ؟

فقالت :

ـ أخافُ أن يَضْرِبُونِى .

فَمَشَى معها إلى أهلِها ، حتى إذا أتاهُم قال :

ـ السَّلامُ عليكم .

عَرَفُوا صوتَه ، فَلَم يَرُدُّوا . فقالَ مرةً ثانية :

ـ السلام عليكم .

فَصَمَتُوا ولم يُجِيبُوا . فقالَ مرةً ثالثة :

ـ السلام عليكم .

فقالوا فرحين :

ـ وعليكَ السَّلام .

فقال لهم : « أسَمِعتُم أوَّلَ السَّلام ؟ » .

قالوا :

ـ نعم ، ولكنَّا أحْبَبنا أن تَزِيدَنا من السَّلام .

وأقبَلوا عليه يسألُونَه عمَّا جاءَ به إليهم .

قالوا :

ـ فما أشخصَك ؟ بأبِينا وأُمِّنا ؟

فقال :

ـ أشْفَقَتْ هذه الجاريةُ أن تَضرِبُوها .

فقال صاحِبُها :

ـ هيَ حرةٌ لوجهِ اللّه ، لِمَمْشاكَ معها .

وانصرَفَ رسولُ اللّه . وهو مُغْتَبِط ، يقول :

ــ لقدْ بارَكَ اللّه فى العشرة : كسا اللّه نبيَّه قميصا ، ورجُلا من الأنصارِ قميصا ، وأعتق اللّه منها رقبة ، وأحمدُ اللّه ، وهو الذى رَزَقَنا هذا بِقُدرتِه .

ومرَّ على رجُلٍ من الأنصار ، وهو يلوُمُ أخاه ، لأنَّ عندَه حَياءً يمنعهُ من أن يفعلَ أشياءَ تُدِرُّ عليه أرباحا ، فقال له رسولُ اللّه :

ــ دَعْهُ ، فإنَّ الحياءَ من الإيمان .

٧

كان النبيُّ ﷺ بارِزًا يومًا للناس ، فأتاهُ رجُل ، فقال له :

ـ ما الإِيمان ؟

فقال له الرسول :

ـ الإِيمان : أن تؤمِنَ باللّه ، وملائكتِه ، وبِلِقائِه ، ورُسُلِه ، وتؤمِنَ بالبَعْث .

فقال له الرَّجل :

ـ ما الإِسلام ؟

فقال له الرسول :

ـ الإِسلامُ : أنْ تَعبُدَ اللّهَ ولا تُشْرِكَ به ، وتُقِيمَ

الصَّلاة ، وتؤتِى الزَّكاةَ المَفْرُوضة ، وتصومَ رمضان .

فقال له الرجل :

ـ ما الإِحسان ؟

فقال له الرسول :

ـ أن تعبُدَ اللّه كأنَّكَ تَراه ، فإنْ لم تَكنْ تَراه فإنَّه يَراك .

فقال له الرَّجل :

ـ متى السَّاعة ؟ (أى متى تقومُ الساعة) ؟

فقال له الرَّسول :

ـ إنَّ اللّه عندَه عِلْمُ السَّاعة .

ونظَرَ النَّاسُ فلم يَجِدُوا الرَّجل ، فقال الرَّسول ﷺ :

ـ هذا جِبْرِيلُ ، جاءَ يُعلِّمُ النَّاسَ دينَهم .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

وفاة الرسول

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وما محمدٌ إلا رَسولٌ قدْ خلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُل ، أفإن ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعقَابِكم ، ومَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيئا وَسَيَجْزِى اللّه الشّاكرين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عادَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة ، وفى ذاتِ ليلـة ، قامَ فى جَوفِ اللَّيـل ، ونـادَى مَـولاه (خادِمَـه) أبـا مُوَيْهِبَة ، وقال له :

ـ أسرِجْ لى دابَّتِى .

فقامَ أبو مُوَيْهِبَةَ يُعِدُّ له بَغْلَتَه ، ثـمَّ ركِبَهـا رسـولُ اللّه ، وقال :

ـ يا أبا مُوَيْهِبَة ، إنّى قد أُمِـرْتُ أن أسْتَغْفِرَ لأهـلِ هذا البَقيع ، فانطَلِقْ معِى .

وسـارَ الرَّسـولُ إلى البقِيـع ، وهـو مكـانُ مقـابرِ المُسلمين فى المدينة ، وسار أبو مُوَيهبة خلفَ بَغلَتِـه ، حتى إذا بَلَغا البَقِيع ، نَـزَلَ رسـولُ اللّـهِ عـن بَغْلَتِـه ، فأسْرَعَ أبو مُوَيْهِبَةَ إليها وأمسكها ، والتفـتَ رسـولُ اللّه ﷺ إلى القُبور ، وقال :

ـ السَّلامُ علَيكُم يا أهْلَ المَقابر ، ليهْـنَ لكـم (أى هنيئا لكم) ما أصبحتم فيه ، مما أصبح النـاس فيـه . أقْبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ ، يتبَعُ آخِرُها أوَّلَها ، الآخرةُ شَرٌّ من الأولى .

والتفت رسولُ اللّه إلى مولاه وقال :

ـ يا أبا مُوَيْهِبـة ، إنِّـى قـد أُوتيـتُ مفـاتيحَ خزائـنِ الدُّنيا والخُلدَ فيهـا ، ثـم الجنَّـة ، فخُيِّرتُ بـين ذلـك وبين لقاء ربِّى والجَنَّة .

فقال له مولاه :

ـ بأبى أنـتَ وأمِّـى ، فخُـذْ مفـاتِيحَ خزائِـنِ الدنيـا والخُلدَ فيها ، ثم الجنَّة .

فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ لا واللّه يا أبا مُوَيْهِبـة ، لقـدِ اخـترتُ لقـاءَ ربِّـى والجنَّة .

ووقَفَ رسولُ اللّه يستَغْفِرُ لأمواتِ المسلمين ، ثـمَّ انصرَفَ فى جَوفِ اللَّيل ، وخادمُه يسيرُ خلفَه .

٢

عادَ رسولُ اللّه ﷺ من البقِيع إلى الـدَّار ، فَوَجَـدَ زَوجَتَه عائِشة ، تشكو صُداعا ، وتقول :

ـ واراْساه .

فقال لها :

ـ بل أنا يا عائشةُ واراْساه .

وجلـسَ إلى جوارِهـا ، والتفـتَ إليهـا ، وقـال مُداعبا :

ـ ما ضرَّكِ لو مُتِّ قَبلِي ، فَقُمْتُ عَلَيكِ وكَفَّنْتُكِ وصلَّيتُ عليكِ ودَفَنْتُك .

قالت له عائشة :

ـ واللّه لكأنِّى بك لو فَعَلتَ ذلـك ، لقدْ رَجَعْتَ إلى بيتى ، فأعْرسْتَ فيه ببعضِ نسائك .

فتبسَّمَ رسولُ اللّه ، ونـام وهـو يشـكو ألَمًا فـى رأسِه ، وراحَ يدورُ على نِسـائِه ، كـان يَدْخُـلُ علـى

كلِّ زوجةٍ ليلة ، وأحسَّ اشتِدادَ المرَضِ عليه ، فكانَ كلَّما دخلَ على زَوجةٍ من أزواجِه ، يقول :

ـ أين أنا غدا ؟

فَهِمَتْ زوجاتُه أنه يُريدُ أن يمكثَ في بيتِ عائشة ، لِتعتنِيَ به في مرضِه ، ولما كان في بيتِ زوجه ميمونة ثقُلَ عليه المرض ، فسألَ أزواجَه أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشة ، فأذِنَّ له ، فأرسَلَ إلى عليِّ بنِ أبي طالب ، وعمِّه العبَّاس ، فلما جاءا خرج بينهما ، كان يستَنِدُ عليهما ، وكان عاصِبًا رأسَه ، وظلَّ في سيرِه ، حتى دخلَ بيتَ عائِشة ، وبقَى به ، لا يخرج إلا للصلاة .

٣

خَيَّمَ اللَّيلُ ، واجتَمَعَ النَّاسُ فى المسجد لصلاةِ العِشاء ، وارتفعَ صَوتُ بلال عَذْبا :

ـ اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر !

وأتمَّ بلالٌ الأذان ، وانتظَرَ الناسُ خروجَ النبىّ ، ولكنه لم يخرُج ؛ أرادَ أن يذهبَ للصَّلاة ، فأُغْمِىَ عليه ، ثم أفاق ، فقال :

ـ أصلَّى النَّاس ؟

فقالت له عائشة :

ـ لا . هم ينتظرونك .

فطلَبَ رسولُ اللّه ﷺ ماءً لِيَتَوضَّأ ، ولكنه لم يَقْوَ ، فقدْ أُغمِىَ عليه ، ولَمَّا أفاقَ قال :

ـ أصلَّى النَّاس ؟

فقالت له عائشة :

ـ لا يا رسولَ اللّه . هم ينتظِرونَك .

وأرادَ أن يتوضَّأ ، فأُغْمِيَ عليه ، والنَّاسُ مجتمعون ، ولمَّا أفاقَ دخل بلالٌ عليه ، وقال :

ـ الصَّلاةُ يا رسولَ اللّه .

فقال ﷺ :

ـ لا أستطيعُ الصَّلاةَ خارجا ، مُرُوا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالنَّاس .

خافتْ عائشة ، لأنَّها تعلمُ أنَّه لن يقومَ أحدٌ مقامَ رسولِ اللّه ﷺ ، إلاَّ تشاءمَ النَّاسُ به ، فأرادتْ أن يختارَ رسولُ اللّه أحدًا غيرَ أبيها ليُصَلِّيَ بالنَّاسِ ، فقالت :

ـ إنَّ أبا بكرٍ رجُلٌ رقيق ، إذا قامَ مقامَكَ لم يُسمع النَّاسَ من البكاء .

فقالَ رسولُ اللّه ﷺ :

ـ مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالنَّاس .

فقالت عائشة :

ـ إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيق .

فقال رسولُ اللّه :

ـ إنَّكنَّ صَوَاحِبُ يوسُف (أى إنكن تُظْهِـرْنَ غـيرَ مـا تُخْفِـين ، كمـا فَعَلَـتْ زوجـةُ العزيـز لما أظهـرَتْ للنِّسـاءِ اللاتـى جَمَعَتْهُـن ، أنهـا تُريـد إكرامَهُـنَّ بالضِّيافة ، وإنما قصدُها أن ينظرنَ لحسنِ يوسُفَ عليه السلام ، فَيَعْذِرْنها فى حبِّه) ؛ مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالنَّاس .

فخَرَجَ بِلالٌ إلى النَّـاسِ يبكـى ، فجاءَ إليـه النَّـاسُ خائِفين ، وقالوا له :

ـ ما وراءَكَ يا بلال ؟

فقال بلال :

ـ إن رسـولَ اللّـه لا يسـتَطِيعُ الصَّـلاةَ خارِجـا . فراحَ المسلمونَ يبكون .

٤

أراد الرسـول ﷺ أن يخـرجَ إلى النّـاس ، فقـال لنسائه :

ـ أفِيضُوا عليَّ (أى صُبُّوا على) من سبع قرب ، من سبعِ آبارٍ شتّى ، حتى أخرجَ فأعهَدَ إلى النّاس .

وصبُّوا عليه الماء ، وخرج يستندُ علـى رجلٍ من أهلِه ، حتى إذا بلغَ المِنبَر ، جلس عليـه ، فجاءَ إليـهِ النّاسُ فرحينَ بخروجه ، والتفوا حولَه ، فقال :

ـ اللّهمَّ اغفِر لشُهَداءِ أُحُدْ ، اللهمَّ اغفِـر لشـهداءِ أُحد . يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تَزيدون ، والأنصارُ على هيئتهـا لا تزيـد ، فـأكرموا كريمَهـم ، وتجاوَزوا عن مسيئهم .

أيها الناس ، إنَّ عبدًا من عبادِ اللّه ، قد خيَّرهُ اللّـه

بينَ الدُّنيا وبينَ ما عندَ اللّه ، فاختارَ ما عند اللّه .

فَهِمَ أبو بكرٍ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ يتكلم عن نفسِه ، وأنه يذكرُ للنّاسِ أنه سيموت ، فبَكى من الحُزْن ، على فِراقِ رسولِ اللّه ، وما فارقَهُ أبدا ، قال :

ـ بل نحن نفدِيكَ بأنفُسِنا وأبنائنا وأموالنا .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ إنَّ أمَنَّ النّاسِ عليَّ في صُحبَتِه ومالِه أبو بكر ، ولو كنتُ متَّخِذًا من أمَّتي خَلِيلا ، لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خَليلا .

وقال رسولُ اللّه :

ـ يأَيُّها النّاس ، مَن أحسَّ من نفسِه شيئًا فليقُم أدعو اللّه له .

فقام إليه رجلٌ فقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنِّي لَمُنافِق ، وإنِّي لكَذُوب ،

وإنّى لَشَئُوم .

عجبَ الناسُ من ذلك الرجل ، الذى فَضحَ نفسَه ، وقال عمر :

- ويحَك أيها الرجل ، لقدْ ستَركَ اللّه لو سَترت على نفسِك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

- مَهْ يا بنَ الخطّاب ، فُضُوحُ الدُّنيا أهوَنُ من فُضوحِ الآخرة ، اللهمَّ ارزقه صِدْقًا وإيمانا ، وأذْهِبْ عنه الشُّؤم .

٥

دخلَ الرَّسولُ ﷺ دارَه ، وبَقِيَ بها يُصلِّي لا يقوى على الخروج ، وكان أبو بكر يُصلِّي بالنَّاس ، وفي صباحِ يوم الاثنين ، سمِعَ رسولُ اللّه أصواتَ النَّاسِ في المسجد ، فكشفَ سِتْرَ الحُجْرةِ ونظر ، فرأى المسلمينَ وهم صُفوفٌ في الصَّلاة يُصلُّونَ خلْفَ أبي بكر ، فتبسَّمَ ، ففرِحَ النَّاسُ لمَّا رأَوه ، وفَسَحُوا له ؛ حَسِبُوا أنَّه خارجٌ ليُصلِّي بهم ، وتأخَّرَ أبو بكر ، ليتركَ له مكانَ الإمامة ، ولكنَّ الرَّسولَ ﷺ أشارَ لهم أنِ استَمِرُّوا في صلاتِكم ، وأرخَى السِّتارَ .

واشتدَّ الوجَعُ على النَّبيّ ، فوَضَعَ رأسَه في حِجْرِ عائِشة ، وكان عِندَه قَدَحٌ فيه ماء ، فكانَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَح ، ثمَّ يمسحُ وجهَهُ بالماء ، ويقول :

ـ اللّهمَّ أعِنّى على سَكَراتِ المَوت .

وثَقُلَ رأسُه ﷺ فى حِجْرِها ، فَظَنّت أنّه غُشِىَ عليه ، فغطّتهُ بثوب ، فجاءَ عُمرُ والمُغيرةُ بنُ شُعبة ، فاستأذنا ، فأذِنَتْ عائِشةُ لهما ، فنظرا إليه ، وقال عمر :

ـ واغشياهْ ، ما أشَدَّ غَشْىَ رسولِ اللّه !

وقال المغيرة :

ـ يا عمر ، مات رسولُ اللّه .

فقال له عمر فى شِدَّة :

ـ كذِبْتَ ! إنَّ رسولَ اللّه ﷺ لا يموت ، حتى يُفْنِىَ اللّه المنافِقِين .

وخَرَجَ عمرُ يخطُبُ النَّاسَ ، ويوعِّد الذين يقولونَ إنَّ رسولَ اللّه قد مات . وجاءَ أبو بكر ، ودخلَ على الرَّسول ، ورفَعَ عنه الغِطاء ، وقال :

ـ إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ... مات رسولُ اللّه .

وقَبّلَ رأسَه .

ثمَّ قالَ في حُزْن :

ـ وانَبيَّاهْ .. واصَفِيَّاه .. واخَليلاه !

وخرج أبو بكرٍ إلى النّاس ، وعُمَرُ يخطُبُ النّاس ويقولُ إنَّ رسولَ اللّه لا يموتُ حتى يُفنِيَ اللّه المنافِقِين ، فقالَ له أبو بكر :

ـ اجلِسْ يا عُمر ، اجلس يا عمر !

ثم قال أبو بكر :

ـ أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه ، وأشهدُ أنَّ محمَّدا رسولُ اللّه . أمَّا بعد ، فمنْ كان منكم يعبُدُ محمَّدا فإنَّ محمدا قد مات ومن كان يعبُدُ اللّه فإنَّ اللّه حيٌّ لا يموت .

وصَمتَ قليلا ، ثمَّ قرأ من القرآن :

« وما محمَّدٌ إلاَّ رسولٌ قد خَلَتْ من قبْلِه الرُّسُل ، أفَإن ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أعْقابكم ، ومَن ينقَلِبْ على عَقِبَيهِ فلنْ يَضُرَّ اللّه شيئا ، وسَيجْزِي اللّه الشَّاكِرين » .

وتَيَقَّنَ النَّاسُ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قد مات ، فأجهَشُوا بالبُكاء ، وارتَفَعَ صَوتُ فاطِمة تذْكُرُ محاسِنَ أبيها ، فزَادَ ذلك فى حُزنِ النَّاس .

أبتاه يا أبتاه ! .. أبتاه .

أجابَ ربَّاه دعاه .. يا أبتاه .

إلى جبريلَ نَنعاه .. يا أبتاه .

مِن ربِّه ما أدناه .. يا أبتاه .

وجاءَ أوانُ الصَّلاة ، فقامَ بلالٌ يؤذِّن :

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ! اللّه أكبر ، اللّه أكبر !

أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه .

أشهدُ أنَّ محمَّدا ..

وتذَكَّر بلالٌ رسولَ اللّه الميِّتَ فى دارِه ، فَخَنَقَتْه دموعه ، وبكَى المسلمونَ حتى ارتَجَّتِ المدينةُ بالبُكاء ، ولفَّها حُزنٌ عميق .